مقررات دبلومات معاهد إعداد معلمي القرآن الكريم

العقيدة

الدبلوم - الدبلوم العالي

١٤٣٨ - ١٤٣٩هـ

معاهد للاستشارات

نوره الراجحي

مقررات دبلومات
معاهد إعداد معلمي
القرآن الكريم

العقيدة

الدبلوم – الدبلوم العالي

١٤٣٨-١٤٣٩هـ

ⓒ مركز معاهد للاستشارات التربوية والتعليمية، ١٤٣٨ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

مركز معاهد للاستشارات التربوية والتعليمية

العقيدة. / مركز معاهد للاستشارات التربوية والتعليمية .- الرياض ، ١٤٣٨ هـ

٢١٠ ص ؛ ٢١ × ٢٥.٥سم

ردمك: ٣-٠٧-٨٢٢٥-٦٠٣-٩٧٨

١- التوحيد - مناهج — السعودية ٢- العقيدة الإسلامية -تعليم

أ.العنوان

ديوي ٧١٣ , ٢٤٠ ١٠٠٧٧ / ١٤٣٨

رقم الإيداع: ١٠٠٧٧ / ١٤٣٨

ردمك: ٣-٠٧-٨٢٢٥-٦٠٣-٩٧٨

تم إعداد المادة العلمية

ومراجعتها بواسطة

فريق من المتخصصين

مشروع بناء مناهج معاهد إعداد

معلمي القرآن الكريم

إحدى مبادرات

مركز معاهد للاستشارات التربوية

والتعليمية

معاهد للاستشارات

برعاية

نوره الراجحي

مركز معاهد للاستشارات التربوية والتعليمية

بيت خبرة في تأسيس المعاهد القرآنية وتطويرها

الرياض- الدائري الشرقي- بين مخرجي ١٣ ، ١٤

هاتف: ٠١١٤٥٥٤٠٤٩

فاكس تحويلة: ١٠٩ — ص.ب: ٢٣٦٤٦٥ الرياض ١١٣٣٢

info@m3ahed.net

www.m3ahed.net

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحابته ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين؛ أما بعد:

تشهد حلقات ومدارس تحفيظ القرآن الكريم الخيرية للبنين والبنات بالمملكة العربية السعودية – بحمد الله – إقبالاً متزايدًا، حيث بلغت أكثر من (٥٨٠٠٠) حلقة، يدرس فيها ما يزيد عن (١٠٠٠٠٠٠) طالب وطالبة، ويعمل فيها أكثر من (٦٤٠٠٠) معلم ومعلمة وإداري وإدارية.

في ضوء ذلك جاءت الحاجة ماسة للعناية بالمعلمين والمعلمات، بوصفهم أبرز عناصر التأثير في العملية التعليمية؛ لذا تم افتتاح أكثر من ١٢٠ معهدًا لإعداد معلمي ومعلمات القرآن الكريم في المملكة حتى نهاية عام ١٤٣٧هـ، ما أحدث نقلة في عمل الحلقات والمدارس القرآنية.

ونظرًا لأهمية هذه المعاهد؛ فقد اعتنى القائمون عليها بأبرز عناصر العملية التعليمية فيها وهو (المنهج)، حيث بُنيت مناهج متعددة تم تطبيقها في هذه المعاهد، ويتراوح تاريخ هذه المناهج بين ١٣-٢٠ عامًا تقريبًا، ساعدت بفضل الله تعالى في تخريج معلمين ومعلمات ساهموا في تعليم القرآن الكريم في هذه الحلقات والمدارس القرآنية.

ويمثل (المنهج) بمفهومه الواسع جميع الخبرات التي تُقدم للدارسين؛ ليكتسبوها تحت إشرافها بغية تحقيق أهداف التعلُّم المرغوبة. وهو جوهر عملية التعلُّم؛ لما يحتوي عليه من القيم والمهارات والمعارف المرغوبة. ونظرًا لما يمثله من أهمية، فبدهيٌّ أن يكون هو المحور الرئيس الذي تدور حوله العمليات التطويرية للتعلُّم.

ولأهمية تطوير مناهج إعداد المعلمين في هذه المعاهد، حيث تشير الاتجاهات الحديثة في تطوير المناهج إلى أن دورة هذا التطوير تكون في المتوسط بين ٣-٥ سنوات؛ فقد جاءت الحاجة ماسة إلى

بناء مناهج لمعاهد معلمي القرآن الكريم مواكبة لأبرز الاتجاهات التربوية الحديثة والخبرات العالمية المعاصرة في هذا الاتجاه.

وكان لـ"مركز معاهد للاستشارات التربوية والتعليمية" بالرياض، بوصفه بيت خبرة في تأسيس المعاهد القرآنية وتطويرها، مبادرة مباركة – بإذن الله – تستهدف أبرز عناصر العمل التربوي والتعليمي في مجال تعليم القرآن الكريم وهو المعلم؛ من خلال طرح مشروع "بناء مناهج معاهد إعداد معلمي القرآن الكريم"، برعاية من "أوقاف نورة بنت عبدالرحمن الراجحي – رحمها الله تعالى –"، بغرض تخريج معلمين ومعلمات ذوي كفاءة علمية وتربوية لتعليم القرآن الكريم، ويستهدف التطبيق – بإذن الله – المعاهد القرآنية (الرجالية والنسائية)، وما في حكمها؛ من مشاريع وبرامج ومبادرات داخل المملكة وخارجها.

ويتضمن مشروع "بناء مناهج معاهد إعداد معلمي القرآن الكريم" ثماني مراحل هي كما يلي:

١. دراسة واقع المناهج القائمة وتقييمها.
٢. التخطيط للمشروع.
٣. تشكيل الفرق الفنية والإدارية للمشروع.
٤. بناء وثيقة المنهج لـ"دبلومات إعداد معلمي القرآن الكريم".
٥. إعداد المقررات التعليمية.
٦. التطبيق الأولي للمقررات التعليمية المصاحبة.
٧. تعميم المقررات التعليمية.
٨. المتابعة والتقويم المستمران للمقررات التعليمية.

وتكللت جهود النصف الأول من المشروع – بفضل الله تعالى – ببناء "وثيقة منهج معاهد إعداد معلمي القرآن الكريم"، حيث احتوت على برنامجين أكاديميين هما:

١. دبلوم إعداد معلمي القرآن الكريم.
٢. الدبلوم العالي لإعداد معلمي القرآن الكريم.

وقد بُنيت هذه الوثيقة وفق الطريقة العلمية لصناعة المنهج، ولها أهمية كبرى بوصفها الخطوط العريضة لتطوير عمليات التعلُّم في المعاهد وجميع العناصر المؤثرة في ذلك، إضافة إلى بناء المقررات التعليمية المصاحبة لها، حيث راعت المواصفات العلمية والفنية المعتبرة في بناء المناهج التعليمية، إضافة إلى تحقيقها مطالب "الإطار الوطني للمؤهِلات للتعليم العالي في المملكة" الصادر عن الهيئة الوطنية للتقويم والاعتماد الأكاديمي، وأيضًا تحقيقها مطالب "وثيقة المعايير الأكاديمية لمحتوى دبلومات معلم القرآن والقراءات" في مؤسسات التعليم العالي الصادرة عن نفس الهيئة.

ويأتي مقرر (**العقيدة**) الذي بين أيدينا، بوصفه أحد المقررات التعليمية في الدبلومين المُشار إليهما، حيث تم إعداده في ضوء "وثيقة منهج معاهد إعداد معلمي القرآن الكريم" المعتمدة في المشروع. ويُعنى هذا المقرر بتزويد الدَّارس بأبرز أصول العقيدة الإسلامية الصحيحة وبيان المسائل المتعلقة بالشرك والكفر والنفاق، وأيضًا السنة والبدعة.

نسأل الله تعالى أن يبارك بالجهود ويحقق الأمل المنشود، وأن يشكر سعي كل من شارك في المشروع، وبخاصة راعيه "أوقاف نورة بنت عبدالرحمن الراجحي – رحمها الله تعالى –".

وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

والله الموفق

إدارة المشروع

المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة المقرر	١٣
الأهداف العامة للمقرر ووحداته الأساسية	١٥
الوحدة الأولى: التوحيد	١٧-٥٣
الوحدة الثانية: الإيمان	٥٥-١٤٨
الوحدة الثالثة: الشرك، الكفر، النفاق	١٤٩-١٩٠
الوحدة الرابعة: السنة والبدعة	١٩١-٢٠٨
المراجع والمصادر	٢٠٩

مقدمة المُقرّر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَن لا نبيَّ بعده، وعلى آله وصحبه.

أما بعد فالعقيدة أصل دين الإسلام، وأول واجب على المكلّف توحيد الله تعالى، لقول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ حين أرسله إلى اليمن: «**فليَكن أوَّل ما تدعوهم إليه أن يُوحدوا الله تعالى، فإذا عرَفوا ذلك، فأخْبِرهم أن الله فرَض عليهم خمس صلوات**»[1]، ويدلّ هذا الحديث ـ فيما يدلُّ عليه ـ على أنه يجب العمل مع الاعتقاد، وأن العمل مبنيّ على الاعتقاد، ولأهمية تعلم العقيدة الإسلامية جاء هذا الكتاب شاملاً لأصول الاعتقاد، وقد قسّمناه إلى أربع وحدات:

- الوحدة الأولى: التوحيد.
- الوحدة الثانية: الإيمان.
- الوحدة الثالثة: الكفر والشرك والنفاق.
- الوحدة الرابعة: السنة والبدعة.

راعينا فيها التسلسل العلمي، والجمع بين الوضوح وسهولة العرض واعتماد ما صح من الدليل، وأتبعنا موضوعاته بأنشطة تفاعلية، وملفات للإنجاز.

سائلين الله تعالى الإخلاص والقبول، وأن يحقّق الكتاب أهدافه المرجوّة منه.

(١) أخرجه البخاري (ح٧٣٧٢).

الأهداف العامة للمقرر:

١. يشرح الدارس أبرز أصول العقيدة الإسلامية الصحيحة.

٢. يناقش الدارس أبرز مسائل الشرك والكفر والنفاق.

٣. يناقش الدارس أبرز مسائل السنة والبدعة.

الوحدات الرئيسة للمقرر:

الوحدة الأولى: التوحيد.

الوحدة الثانية: الإيمان.

الوحدة الثالثة: الكفر والشرك والنفاق.

الوحدة الرابعة: السنة والبدعة.

عدد المحاضرات:

الدبلوم: (٤٨) محاضرة.

الدبلوم العالي: (٢٤) محاضرة.

الوحدة الأولى

التوحيد

أهداف الوحدة:

يتوقع من الدارس بعد إنهائه لهذه الوحدة أن:

١- يشرح معنى التوحيد لغة واصطلاحًا.

٢- يُبيّن منزلة التوحيد من الدين.

٣- يقارن بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

٤- يوضح دلائل الربوبية.

٥- يشرح معنى العبادة لغة واصطلاحًا.

٦- يناقش أصول العبادة ومنزلتها في الإسلام.

٧- يبين شروط العبادة الصحيحة.

٨- يبين أنواع العبادة.

٩- يوضح بعض القواعد والفوائد في توحيد العبادة.

١٠- يشرح كيفية تحقيق التوحيد.

١١- يدلل على فضل التوحيد.

مفردات الوحدة:

الموضوع الأول: التوحيد معناه ومنزلته من الدين وأقسامه.

الموضوع الثاني: توحيد الربوبية.

الموضوع الثالث: توحيد العبادة.

الموضوع الرابع: توحيد الأسماء والصفات.

الموضوع الخامس: تحقيق التوحيد وصفات أهله وفضائل تحقيقه.

عدد المحاضرات:

الدبلوم: (١٢) محاضرة. الدبلوم العالي: (٦) محاضرات.

تمهيد:

توحيد الله تعالى مفتاح دعوة الرسل، وأوّل واجب على المكلّف، فهو أوّل ما يُدخَل به إلى الإسلام، وآخر ما يخرج به العبد من الدنيا و**«من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»**[(١)]، وكلّ ما في القرآن شاهدٌ على التوحيد وداعٍ إليه؛ فإن القرآن الكريم إما خبر عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يُعبد من دونه، وإما أمر ونهي تتحقق بهما طاعة الله تعالى، وإما إخبار عن إكرام الله تعالى لمن وحّده في الدنيا والآخرة، وإما إخبار عن أهل الشرك وعاقبتهم في الدنيا والآخرة، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم[(٢)].

فحقٌّ على كل مكلّف أن يعرف حقيقة التوحيد الذي عليه مدار الفوز والخسارة بمعرفة حدوده وأقسامه وواجباته وآثاره.

(١) أخرجه أبو داود (ح٣١١٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٧٩).

(٢) مختصر من مدارج السالكين (٣/٤٨٩).

الموضوع الأول: التوحيد معناه ومنزلته من الدين وأقسامه

❑ أولاً: معنى التوحيد:

- **التوحيد لغة:** مصدر من وحَّد يوحِّد، بمعنى جعل الشيء واحدًا.
- **التوحيد اصطلاحًا:** إفراد الله تعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته. وسيأتي بيان معنى هذا التعريف عند ذكر أقسام التوحيد الثلاثة.

❑ ثانيًا: منزلة التوحيد من الدين:

التوحيد هو أصل الدين، وهو الفطرة التي فطر الله الناس عليها؛ فإن البشر يولدون على التوحيد، قال الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠]، وقال ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة؛ فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»(١).

وإذا كان الله تعالى هو المتفرد في الخلق والرزْق والتدبير، وهو مالك الدينا والآخرة جل وعلا؛ فحقه على الناس أن يعبدوه مخلصين له الدين وحده لا شريك له كما قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا»(٢).

وهذا الأصل – يعني التوحيد – هو دين الأنبياء جميعًا، وإليه كان يدعو كل نبي قومه، وبه كان يبدأ دعوته، فكانوا يقولون لأقوامهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾، فالدين الصحيح عند الله واحد وهو الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ

---

(١) أخرجه البخاري (ح١٣٥٩) واللفظ له، ومسلم (ح٢٦٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (ح٢٨٥٦)، ومسلم (ح٣٠).

﴿بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩]، واقتضت حكمة الله تعالى أن تختلف شرائعهم بما يحقق مصالح أقوامهم قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

❑ ثالثًا: أقسام التوحيد:

وهذا التوحيد يتضمن ثلاثة أقسام[١] دلت عليها الأدلة من الكتاب والسنة كما سيتضح مما يأتي:

-توحيد الربوبية:

هو: الإقرار الجازم بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه وخالقه ومدبره والمتصرف فيه لا ندّ له ولا شريك، ويدخل فيه الإقرار بكل فعل من أفعاله تعالى الواردة في الكتاب والسنة.

-توحيد الألوهية:

هو: إفراد الله تعالى بالعبادة أي إخلاص التأله لله وحده، وهذا التوحيد دلت عليه كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) التي دعا إليها النبي ﷺ قومه وجاهدهم عليها.

- توحيد الأسماء والصفات:

هو: الإيمان بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى الثابتة في الكتاب والسنة.

---

(١) يقسم العلماء التوحيد إلى ثلاثة أقسام -كما هنا - بالنظر إلى أن ما يتعلق بالله تعالى مما ورد في النصوص الشرعية، ومنهم من يقسمه إلى قسمين بالنظر إلى ما يجب على العبد؛ فالعبد يجب عليه لله تعالى توحيد في المعرفة والإثبات وهذا يدخل فيه توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وتوحيد متعلق بالقصد والطلب وهو توحيد الألوهية.

إثراء

تقسيم التوحيد إلى هذه الأقسام الثلاثة للتوضيح والبيان لا لكونها مستقلة عن بعضها البعض، أو أنه يكفي المسلم الإيمان ببعضها؛ بل لا يصح توحيد العبد حتى يجمع الإيمان بها جميعًا، وتوضيح هذه الملازمة بالمثال، فمن دعا غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فقد أشرك في أقسام التوحيد كلها؛ فأما شركه في توحيد العبادة؛ فلأنه صرف عبادة الدعاء لغير الله تعالى، وأما شركه في توحيد الربوبية؛ فلأنه ما دعاه من دون الله في جلب النفع أو دفع الضر إلا لأنه يعتقد قدرة على نوع أو بعض التصرف في ملكوت الله، وأنه قادر على قضاء ما طلبه، وأما شركه في توحيد الأسماء والصفات؛ فلأنه ما دعاه إلا لأنه يعتقد أنه سميع قريب أحاط سمعه بكل من دعاه، وأنه قادر على إجابة دعائهم على اختلاف حوائجهم.

ومن الآيات الجامعة لأقسام التوحيد قوله تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٣، ١٦٤]؛ فلما ذكر الله تعالى توحيد الألوهية في الآية الأولى ذكر الدليل على الألوهية في الآية الثانية وهو توحيد الربوبية؛ فإن الخالق المتصرف المحيي المميت هو المستحق للعبادة وحده جل وعلا، وفي الآية دعوة إلى التفكر والتعقل والتذكر، وعيب لمشركي العرب في إقرارهم بتوحيد الربوبية مع شركهم في العبادة بمثل قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، وقال النبي ﷺ لما سئل أي الذنب أكبر؟ قال: «أن تدعو لله ندًا وهو خلقك»[1].

(١) أخرجه البخاري (ح٦٨٦١) واللفظ له، ومسلم (ح٨٦).

أكمل الجدول التالي:

م	الآية	الدلالة	قسم التوحيد الدالة عليه
١	﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٨٩]	إفراد الله بالملك	توحيد ربوبية
٢	﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [فاطر:٣]		
٣	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]		
٤	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]		
٥	﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت:٦١]		

قارن بين أقسام التوحيد الثلاثة:

وجه المقارنة	توحيد الربوبية	توحيد الألوهية	توحيد الأسماء والصفات
التعريف			
صور الشرك فيه			

الموضوع الثاني: توحيد الربوبية

❑ أولاً: معنى توحيد الربوبية:

الإقرار الجازم بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه وخالقه ومدبره والمتصرف فيه لا ندّ له ولا شريك، والإقرار بما سوى ذلك من أفعال الله تعالى الواردة في الكتاب والسنة.

❑ ثانيًا: دلائل الربوبية:

تواترت الأدلة في إثبات ربوبية الله تعالى، وتنوّعت في إقامة البراهين لإقناع المتشككين وإفحام المعاندين، وفيما يلي عرض موجز لبعض تلك الدلائل:

دليل الفطرة: ومعناه أن الله تعالى جعل معرفته والإقرار به في أصل خلقة الإنسان، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠]، وبعد أن يولد الإنسان إما أن يستمر على التوحيد، وإما أن ينحرف إلى غيره بسبب المؤثرات الخارجية كالأبوين مثلاً، ومع الانحراف الذي قد يصيبه إلا أنه يبقى قابلاً للتوحيد، وتأنس روحه إليه، ولا يجد راحة وطمأنينة في غيره أبدًا، ويجد الإنسان نفسه مضطرًا إلى الاتجاه إلى الله تعالى في حال الضرورة كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧].

دليل الخلق والإبداع: ومعناه أن الله تعالى منفرد بالخلق والإيجاد من العدم لا يشركه في ذلك أحد، فمن زعم خالقًا غير الله فليأت بمخلوقاته، قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فإذا انتفى وجود خالق غير الله تعالى تتميز مخلوقاته عن المخلوقات الموجودة؛ فإنه يكون قد تعيّن أنه لا خالق إلا الله تعالى.

البراهين التفصيلية في النفس والكون: وهي كثيرة لأنه ما من شيء من المخلوقات إلا وفيه آية تدل على خالقه المبدع له من العدم، العليم به، الحكيم في صنعته، ولذا نجد في كثير من آيات القرآن الدعوة للتفكر في المخلوقات، من ذلك قوله تعالى:

- ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ . وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١].
- وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ . وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ . وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٠].
- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا . وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا . وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا . وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا . وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا . وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا . وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا . وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا . وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا . لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا . وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا . إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ [النبأ: ٦ - ١٧].

ولنتأمل في بعض ما اشتملت عليه هذه الآيات:

ذكر تعالى في سورة النبأ عددًا من آيات من الأنفس والآفاق منتظمة متسقة لا يمكن أن توجد بنفسها بل لا بدّ لها من خالق، وإذا كان لا بد لها من خالق، فخالقها إنما خلقها لحكمة الابتلاء والاختبار في هذه الحياة، ونبّه على هذه الحكمة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ [النبأ: ١٧].

ومن البراهين المذكورة في الآيات:

١ - **الأرض والجبال:** فالأرض كالمهاد في سكونه ولينه وموافقة شكله لما يوضع عليه، وبهذا تقوم مصالح العباد، فلو لم تكن هذه طبيعة الأرض لتعذر على البشر تكييف الأرض لتوافق

مصالحهم، ولتعذر المشي عليها والحرث وعمارتها، وأما الجبال فذكر تعالى أنها أوتاد للأرض، والأوتاد يستعملها البشر لتثبيت الحبال في الأرض، وقد جعل الله تعالى الجبال أوتادًا للأرض أي تثبيتًا لها، وقد كشف العلم الحديث (عام ١٨٦٥م بواسطة عالم الفلك Sir George Airy) أن للجبال جذورًا في الأرض قد يبلغ طولها أضعاف ما هو فوق الأرض من الارتفاع، وشكلها يشبه الوتد؛ إذ إن الوتد غالب أجزائه تحت الأرض، ولها دور هام في استقرار القشرة الأرضية ومنعها من الاهتزاز.

ولو كانت الجبال صغيرة لتزعزعت الأرض، واختلط ترابها بمائها، ولتعذر على البشر الاستقرار عليها والحياة فوقها. والآية ذكرت أعظم فائدة للجبال وإلا فللجبال فوائد كثيرة من حبس المياه والثلوج في أعاليها، ووجود المعادن، وتنوع النبات، وما فيها من مصالح العباد والدواب.

٢ - **خلق الإنسان**: إن مجرد التأمل في خلق الإنسان من أب وأم دليل على كمال قدرة الله تعالى؛ فإن الله تعالى خلق آدم عليه السلام من تراب من غير أم ولا أب، وخلق حواء من رجل فقط، وخلق عيسى عليه السلام من امرأة فقط، وسائر البشر يخلقون من أب وأم، ثم يتشكل من مجموعهما بشر سوي فيه لحم وعظم وأعصاب، وأجهزة لكل منها وظيفة تعمل بميزان دقيق، وهذه الوظائف تتكامل ولا تتعارض؛ فهل يمكن أن يكون هذا صدفة بلا تدبير، ولو فرضنا أنه صدفة في إنسان واحد فهل يمكن أن يكون صدفة تتكرر ملايين المرات في جميع البشر؟! إن هذا الخَلْق المنتظم دليل أن له موجِدًا عليمًا حكيمًا قد أحاط علمًا وقدرة بدقائق الأشياء ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤] ومن جهة أخرى فإن الإنسان فُطر محتاجًا إلى النوم ومحتاجًا إلى الكسب وطلب المعاش، وهذه الفطرة متوافقة مع ما خُلقت عليه الأرض التي يعيشون عليها، فهم بين ليل مظلم يسترهم بظلامه فينامون فيه، وبين نهار مبصر يعملون فيه، وكذلك غالب النبات والحيوان. ولو لم يخلق الإنسان من ذكر وأنثى كيف كان سيستمر وجوده ويتكاثر ويعمر الأرض ويتحقق ابتلاؤه.

والعاقل إذا تأمل هذه الحكم وما وراءها من المصالح امتنع عنده أن ينسبها إلى غير خالق أو أن ينسبها إلى الصدفة أو إلى الطبيعة؛ لأن الطبيعة لا حكمة لها ولا علم، وهي في نفسها تحتاج إلى خالق، وهذا الخلق لا يمكن إلا أن يكون صنعة خالق قادر عليم حكيم.

٣- **إنزال المطر**: ذكر تعالى رحمته بعباده في إنزال المطر، وأنه سبب لحياة الأرض بأنواع النباتات التي يحتاج إليها الناس لمصالحهم، وهذه الحكمة تقتضي أن يكون إنزال المطر بميزان محكم تتحقق به مصلحة الأرض ومن عليها قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]، وقد ذكر تعالى السحاب الممطر في آية أخرى فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٣]، وأفادت الآية أن المطر ينزل من السحب الركامية، وأن هذه السحب تتكون وفق مراحل تبدأ بدفع الريح للسحاب، ثم اجتماع هذا السحاب في سحابة أكبر، ثم يجعله ركامًا مكدسًا بعضه فوق بعض، ثم يخرج المطر من خلالها. وهذه المراحل اكتشفها علماء الأرصاد الجوية باستخدام الطائرات والأقمار الصناعية وغيرها من الآلات المتطورة، كما أفادت الآية أن البَرَد ينزل من جبال في السماء أي سحب أمثال الجبال، وهذا ما اكتشفه العلماء حيث إن هذه السحب الركامية قد يبلغ ارتفاعها سبعة أميال ونصف.

وكل مخلوق من مخلوقات الله تعالى لو تفكر فيه الإنسان لوجد فيه آية معجزة، ثم هذه المخلوقات بمجموعها وتكاملها معجزة مبهرة لأصحاب العقول قال تعالى: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ . ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾[الملك: ٣، ٤]، وقال تعالى: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

وهذا التكامل والتوازن ذكره الله تعالى في آيات من كتابه قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ . وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ . وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ . وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ . وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ [الحجر: ١٩ - ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣] فالتوازن والإتقان آية تدل على الله تعالى.

والتفكر في مخلوقات الله تعالى ترشد الناس إلى خالقهم وأن هذا الخلق لا يمكن أن يكون عبثًا،

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ . مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان: ٣٨، ٣٩].

وهذا الدليل – **دليل الخلق والانتظام** – استدلّ به موسى عليه السلام في مناظرته لفرعون حين قال له فرعون: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ فجاءه الجواب المفحم ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[طه: ٤٩، ٥٠]، فاستدل على الله تعالى بأنه خلق جميع المخلوقات، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، الدال على حسن صُنْعه من كبر الجسم وصغره وتوسطه وجميع صفاته، ثم هدى كل مخلوق إلى ما يصلحه من المنافع واجتناب ما يضره أو دفعه وعلاجه، وهذا الخلق وهدايته لابدّ لهما من خالق، وهذا الخالق هو ربّ موسى.

عدد ثمارًا لتوحيد الربوبية:

١- .....

٢- .....

٣- .....

اذكر أمثلة لآيات من القرآن تدعو للتفكر في عموم المخلوقات، وأخرى تدعو للتفكر في مخلوقات بعينها:

أولاً: التفكر في عموم المخلوقات:

١- .....

.....

٢- .....

.....

ثانيًا: التفكر في مخلوقات بعينها:

١- .....

.....

٢- .....

.....

* * *

الموضوع الثالث: توحيد العبادة

من أساليب القرآن في الدعوة إلى عبادة الله دون سواه الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية؛ فيستدل بإقرارهم بتوحيد الربوبية، وأنه الخالق المدبر، والأمر كله بيده على وجوب صرف العبادة لله وحده دون غيره، فإذا أقر الناس بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبر، وأن الأمر كله بيده سبحانه، فلماذا يتوجهون بالعبادة لغيره، فلا بد من إفراده بالعبادة وهذا هو توحيد العبادة ويسمى أيضًا توحيد الألوهية؛ لأنه بالنظر إلى الله تعالى فهو الإله الحق، وبالنظر إلى المكلفين فيجب عليهم صرف عبادتهم لله وحده لا شريك له، ولذا يقال فيه أيضًا توحيد الله بأفعال المكلفين.

وهذا التوحيد هو الغاية التي خلق الله لأجلها الخلق، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، وخلق الجنة والنار. وكل دلائل توحيد الربوبية هي دليل له؛ لأن من لا يخلق ولا يملك النفع والضر لا يستحق أن يعبد، فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، كما أن كل دليل على توحيد الربوبية هو دليل لتوحيد الألوهية عن طريق اللزوم، وفي المقابل فإن توحيد الألوهية يتضمّن توحيد الربوبية؛ فمن أخلص العبادة لله فإنه يقرّ بأن الله تعالى هو الخالق وحده.

ومع وضوح هذا إلا أنه ليس كل من أقرّ بتوحيد الربوبية أقرّ بتوحيد الألوهية.

العبادة في الشرع تجمع أمرين: غاية الذل والخضوع مع غاية الحب؛ فمن خضع لمن قهره وتغلّب عليه دون محبة له فلا يسمى عابدًا، ومن أحب شيئًا ولم يخضع له لم يسم عابدًا له كذلك.

❑ أولاً: مفهوم العبادة:

– **العبادة لغةً:** الخضوع والذل، يقال طريق معبَّد أي مذلَّل.

– **العبادة شرعًا:** اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

❑ ثانيًا: أنواع العبادة:

للعبادة أنواع متعددة هي:

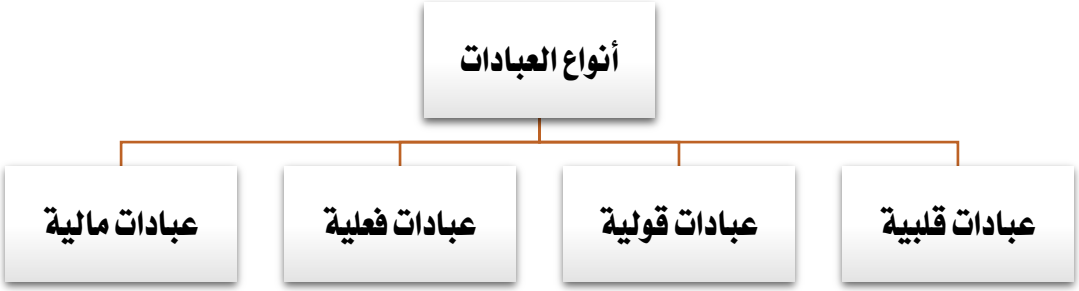

- **عبادات قلبية:** كالإيمان بالله تعالى وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر والقدر، والتصديق بما أخبر الله تعالى به وأخبر به رسوله ﷺ من أمور الغيب، وإخلاص العمل لله وحده، والتوكل على الله تعالى، ومحبة الله تعالى ورسوله ﷺ، والخوف والرجاء.
- **عبادات قولية:** كالتلفظ بكلمة التوحيد، وقراءة القرآن، والتسبيح، والتحميد والصلاة على النبي ﷺ، وسائر الأذكار.
- **عبادات فعلية:** بالجوارح كالسجود والصوم والحج والطواف ورمي الجمار وقتال في سبيل الله.
- **عبادات مالية:** كأداء الزكاة، والصدقة بالمال، والأضحية والهدي، والنذر إذا كان بالمال.

❑ ثالثًا: أركان العبادة:

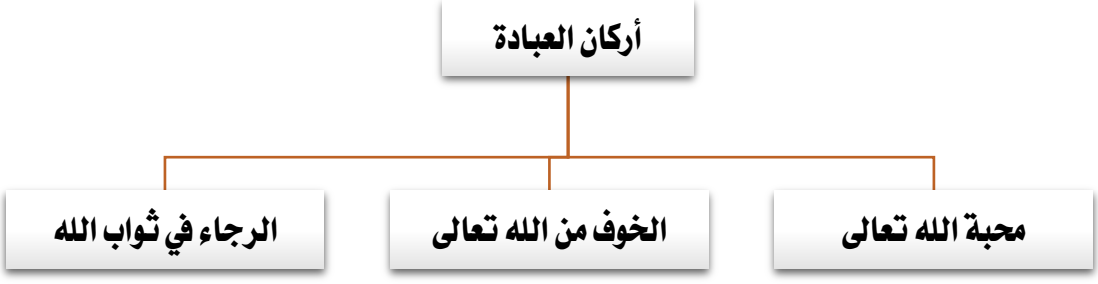

هي الأعمال القلبية التي لابد أن تصاحب العمل ليكون عبادة حقيقية، وهذه الأركان هي:

١- محبة الله تعالى:

- **معنى المحبة:** أن يكون العبد مع الله تعالى؛ يحب الله تعالى ويحب ما يحبه الله تعالى، ويبغض ما يبغضه الله تعالى، والمحبة هي المحرك الذي يحرك القلوب إلى رب العالمين، وبقدرها يكون النشاط في العبادة والإقبال عليها.

- **أمارة وجود المحبة:** وجود آثارها من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، وتقديم طاعة الله ورسوله ﷺ على ما عداهما كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

- **من أدلة المحبة:**

- في الحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[(١)].

-كان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون، وأسألك حبك وحب من يحبك، وحب عمل يقربني إلى حبك»[(٢)].

- **أسباب زيادة المحبة:**

جدير بالمسلم أن يحرص على زيادة هذه المحبة في قلبه بفعل أسبابها، وترك ما يضعفها، ومن أسباب زيادة المحبة:

- الدعاء.
- كثرة ذكر الله تعالى.
- تلاوة القرآن مع التدبر.
- التفكر في نعم الله على عباده.
- الإكثار من نوافل الطاعات بعد المحافظة على الفرائض.

---

(١) أخرجه البخاري (ح١٥)، ومسلم (ح٦٩).

(٢) أخرجه الترمذي (ح٣٢٣٥)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

- التفكر في آيات الله الشرعية والكونية.
- سؤال الله محبته.
- استشعار معاني أسماء الله وصفاته.
- الخلوة بالله تعالى في الثلث الأخير من الليل لمناجاته وذكره ثم بالاستغفار والتوبة.

٢- الخوف من الله تعالى:

- **معنى الخوف من الله تعالى:** هو عبادة عظيمة أمر الله بها المؤمنين، في آيات عديدة منها:
- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥] والمعنى إن كنتم مؤمنين فخافوني.
- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢]، فوعد أهل الخشية بالمغفرة والأجر العظيم.
- قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦].

- أسباب زيادة الخوف من الله تعالى:

ومن أسباب زيادة الخوف من الله تعالى ما يلي:

- العلم بالله تعالى بمعرفة أسمائه وصفاته.
- العلم بما توعد الله به من عصاه من العذاب الأليم قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

٣- الرجاء:

- معنى الرجاء: وهو الطمع في ثواب الله تعالى وفيما أعده للطائعين من النعيم المقيم.

العلاقة بين الأركان الثلاثة:

لا تستقيم العبادة إلا إذا جمع بين هذه العبادات الثلاث، فالمحبة تحرّك إلى الله تعالى، والخوف يزجر عن المعصية، والرجاء يدعو إلى الطاعة، فإذا فعل العبد الطاعة رجا قبول العمل، وخاف من رده

بسبب التقصير في الإخلاص والعمل ولوجود القوادح، وإن وقع في الذنب وتاب رجا قبول التوبة، وخاف المؤاخذة على الذنب، فلا ينفك العبد عن الخوف والرجاء لما بينها من التلازم؛ فمن رجا شيئًا خاف مما يقابله، ومن خاف شيئًا رجا ما يقابله، ولذا فلا بد من الجمع بينهما، لئلا يزيد خوفه فيقع في القنوط واليأس من رحمة الله فينقطع عن العمل، ولا يزيد رجاؤه فيقع في التفريط والتقصير ويغتر برحمة الله تعالى فيهلك وهو لا يشعر.

وقد جمع الله تعالى في كتابه بين الخوف والرجاء في آيات من كتابه، فأثنى على زكريا وزوجه وابنهما يحيى عليهم السلام فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وأثنى على الذين يدعون ربهم خوفًا من العذاب وطمعًا في الثواب فقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦] وقوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩] وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ . أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠، ٦١]، وفي الحديث تفسير هذه الآية بأنهم «الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم»(١).

❑ رابعًا: منزلة العبادة في الإسلام:

للعبادة منزلة عظيمة؛ فهي الحكمة من خلق الثقلين الجن والإنس، ولا تُنال محبة الله تعالى إلا بها، ولأجلها أرسل الله الرسل، وخلق الله الجنة والنار، وعليها مدار الفوز والخسارة يوم القيامة، ولمزيد من التفصيل نقول:

١- العبادة هي الغاية من خلق الجن والإنس قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

٢- دعا جميع الرسل أقوامهم إلى عبادة الله وحده لا شريك فكان الواحد منهم يقول لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ

(١) أخرجه الترمذي (ح٣١٧٥)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

﴿أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

٣- أمر الله بها رسوله حتى الموت فقال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] أي استمر على عبادة الله حتى الموت.

٤- وصف الله بها خواص خلقه من الأنبياء والملائكة، وذم المستكبرين عن عبادته وتوعدهم بالعذاب فقال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢].

٥- وصف الله بها نبيه ﷺ في مقامات التشريف فقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وقال ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١] فأكمل العباد وأكرمهم أكملهم عبودية لله تعالى، وأعلى مراتب الدين هي مرتبة إحسان العبادة.

إخلاص العبودية لله تعالى سبب لفتح البركات قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦]. وفي المقابل ترك العبادة سبب للعداوة بين الناس قال تعالى: ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ [المائدة: ١٤].

٦- أول أمر في كتاب الله تعالى؛ ففي سورة البقرة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

❑ خامسًا: شروط قبول العبادة:

يشترط لقبول العبادة شرطان:

- **إخلاص النية:** وهو أن يكون مراد العبد بجميع أقواله وأعماله الظاهرة والباطنة ابتغاء وجه الله، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥] فلا تقبل عبادة أريد بها غير الله تعالى، أو أراد بها مدح الناس، أو مسايرة وتقليدًا للعادات، أو ليتوصل بها لمصلحة دنيوية.

- **متابعة الرسول** ﷺ: وهو أن يعبد الله على ما شرع في كتابه، أو في سنة رسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠]، وقال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:١١٢] أي يدخل الجنة من أخلص دينه لله، وهو محسن في عبادة ربه بأن كان متبعًا فيها نبيه ﷺ.

فلا تقبل عبادة على صفة مخترعة، أو غُيّر فيها بالزيادة أو النقص ما لم يأذن به الله، أو فعلها قبل وقتها، ومن هنا كان لزامًا على كل مسلم أن يعرف من أحكام العبادات ما يصحح به عبادته من شروطها وواجباتها ومبطلاتها، مثل أحكام الطهارة، وصفة الصلاة، والصوم والمفطّرات، وأحكام الزكاة، وغير ذلك من الأحكام.

❑ سادسًا: أقسام الناس في العبادة:

وبناء على هذين الشرطين – شروط قبول العبادة – فإن الناس في العبادة على أقسام:

- من عبد الله مخلصًا له العبادة وفق الشرع فهو الموحّد.
- من لم يعبده فهو كافر.
- من عبده وعبد معه غيره فهو مشرك.
- من عبد الله مخلصًا لكن على خلاف ما شرع فهو مبتدع، وفي الحديث: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[1] أي فعبادته مردودة غير صحيحة ولا مقبولة.

---

(١) أخرجه مسلم (ح١٧١٨).

❑ سابعًا: قواعد وفوائد في توحيد العبادة:

١- كمال العبد ورفعة درجته بحسب تحقيقه وتكميله للعبودية لله تعالى.

٢- خلق الله الخلق وفطرهم على العبودية له تعالى؛ فمن لم يعبد الله عبد غيره ضرورة بشرًا أو جمادًا أو حيوانًا أو مالاً أو شهوةً أو شيطانًا أو غير ذلك مما هو عبد مخلوق فقير مثله.

٣- ليس للقلب فرح أو راحة إلا بعبادة ربه، وهو راجع إليه لا محالة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦].

٤- تتفاضل العبادات فيما بينها، والعبادات القلبية أخطر شأنًا من عبادات الجوارح وبها يتفاضل الناس، وهي أقل جهدًا وأعظم أثرًا؛ فإن الرجلين يصليان الصلاة ويستويان في الأفعال وشتان ما بينهما لاختلاف ما في قلبيهما من حضور القلب والخشوع والخضوع لله تعالى وغير ذلك من عبادات القلب.

٥- يوجد تلازم بين الظاهر والباطن؛ فصلاح القلب يدعو للاستقامة على طاعة الله، وكلما زادت عبادة الجوارح وقويت زاد الإيمان في القلب.

٦- توحيد العبادة شامل لجميع شؤون الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وغيرها.

ناقش أثر الغلو في كل مما يأتي من وجهة الشرع:

- الغلو في محبة الله:

.....

.....

.....

- الغلو في الخوف من الله:

.....

.....

.....

- الغلو في الرجاء:

.....

.....

.....

قال ابن القيّم: السَّلف استحبُّوا أن يُقَوِّي في الصِّحَّة جناح الخوْف على جناح الرَّجاء، وعند الخروج من الدُّنيا يقوِّي جناح الرَّجاء على جناح الخوْف[1]، ناقش كيف يكون ذلك من وجهة نظرك.

* * *

(١) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ١/٥١٣.

الموضوع الرابع: توحيد الله في أسمائه وصفاته

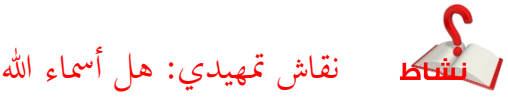

نقاش تمهيدي: هل أسماء الله عز وجل توقيفية أم اجتهادية؟

❑ أولاً: معنى توحيد الأسماء والصفات:

الإيمان بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى الثابتة في الكتاب والسنة، بدون تعطيل أو تحريف أو تكييف أو تمثيل أو تشبيه.

فيجب على المسلم أن يصدق بما ثبت في الكتاب والسنة من أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، ويدعوه بها؛ فيسأل الله تعالى المغفرة؛ لأن الله غفور رحيم، ويسأله الجنة؛ لأنه مالكها، ويجتنب المعصية؛ لأنه شديد العقاب، ويرحم الناس لأن الله تعالى رحيم يحب الرحمة.

كما يجب على المسلم أن يتأدب مع أسماء الله وصفاته، فلا يتكلم فيها بعقله ورأيه وبلا دليل من الكتاب والسنة؛ لأن البشر أضعف من أن يحيطوا بالله علمًا، وإذا كان المسلم يعلم أن في الجنة نخلاً وعنبًا ورمانًا ولا يعلم حقيقتها؛ فصفات الله تعالى من باب أولى. والله تعالى رحيم وفي عباده رحماء لكن لا تشابه ولا تماثل بين الرحمتين وإن اتفقا في الاسم، والدليل على هذا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] فنفى عن نفسه جَل وعلا أن يشبهه شيء من المخلوقين، مع اتصافه بالسمع والبصر وفي خلقه من يتصف بالسمع والبصر، لكن حقيقتهما مختلفة، وعلى هذا فعلى المسلم أن يحذر من الكلام بالظنون فيما لا يحيط به علمه ولا يدرك حقيقته.

❑ ثانياً: طريقة أهل السنة والجماعة في الإثبات والنفي:

طريقة أهل السنة والجماعة في الإثبات: فأنهم يثبتون ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا

﴿يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠].

وأما طريقتهم في النفي: فإنهم ينفون ما نفاه الله عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ مع اعتقادهم ثبوت كمال ضده لله تعالى؛ إذ إن كل ما نفاه الله عن نفسه فهو صفات نقص تنافي كماله الواجب؛ فجميع صفات النقص كالعجز والنوم والموت ممتنعة على الله تعالى لوجوب كماله، وما نفاه عن نفسه فالمراد به انتفاء تلك الصفة المنفية، وإثبات كمال ضدها؛ وذلك أن النفي المحض لا يدل على الكمال حتى يكون متضمنًا لصفة ثبوتية يُحمد عليها.

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق:٣٨].

فالله سبحانه وتعالى في آية الكرسي نفى عن نفسه (السِّنة والنوم) لكمال حياته وقيوميته، وفي الآية الثانية نفى عن نفسه (اللغوب) وهو التعب؛ لكمال قوته وقدرته، فالنفي هنا متضمن لصفة كمال.

❑ ثالثًا: أسماء الله الحسنى:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه:٨]، وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا -مائة إلا واحدًا- من أحصاها دخل الجنة»[(١)]، وفي الحديث: «أسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي...»[(٢)].

دلت الألة السابقة على أمور منها:

- أسماء الله تعالى لا يعلم عدّها إلا الله تعالى؛ لأن منها ما استأثر الله تعالى بعلمه.

---

(١) أخرجه البخاري (ح٧٣٩٢)، ومسلم (ح٢٦٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (ح٦٨٦١) واللفظ له، ومسلم (ح٨٦).

- أسماء الله تعالى كلها حسنى، ومنها تسعة وتسعون اسمًا لها فضيلة خاصة وهي أن من أحصاها دخل الجنة.
- فضل إحصاء أسماء الله تعالى والعناية بها، ويكون إحصاؤها بثلاثة أشياء: حفظ ألفاظها عدًا، وفهم ما دلت عليه من معاني، والتعبد لله بها.

❑ رابعًا: كيف نتعبد لله تعالى بأسمائه الحسنى؟

إن لكل اسم من أسماء الله تعالى صفة يدل عليها، فاسم الرحمن يدل على صفة الرحمة، واسم الحكيم يدل على صفة الحكمة، واسم الخالق يدل على صفة الخلق، ولكل صفة من صفات الله تعالى آثار في خلقه، فوجود المخلوقات وتنوعها وانتظامها يدلّ على أن موجدها متصف بالخلق والإبداع والإرادة والقدرة والحكمة والعلم، ولذا كان التفكر في مخلوقات الله تعالى يدل على الإيمان بالله تعالى وأنه الخالق الرازق الحكيم الخبير المحيي المميت، فأول ما يحتاجه العبد ليتعبد الله تعالى بأسمائه أن يعرف معانيها، وما دلت عليه من صفات وأفعال لله تعالى، ويتعرّف على آثارها في مخلوقاته، ويكثر من التفكر في مخلوقات الله تعالى ليرى آثار رحمة الله الواسعة، وحكمته الباهرة، وآياته العجيبة التي تخضع لها الرقاب، ثم ينظر في كل اسم من أسماء الله تعالى وكيف يعبد الله بمقتضى ذلك الاسم كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وهذا الدعاء يشتمل على:

- دعاء المسألة بأن يسأله بمقتضى هذه الأسماء فيقول: يا رحمن ارحمني، يا رزاق ارزقني، ويثني عليه بها في أول الدعاء وآخره كما كان النبي ﷺ يقول في سجوده: «**اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**»(١).
- التعبد لله بمقتضى الاسم أو الصفة، ومن ذلك:
  - التخلق بصفات الله تعالى التي يحب من عباده أن يتخلقوا بها ومنها الرحمة؛ فيرحم

(١) أخرجه مسلم (ح٤٨٦).

لأن الله رحيم، ويتصدق لأن الله رزاق.

- يخضع لله تعالى ويتذلل في الصفات التي لا تليق إلا بالله تعالى فلا يتجبر لأن الله هو الجبار يبغض الجبابرة وهم من أهل النار، ولا يتكبر لأن الكبرياء رداؤه، والله لا يحب المتكبرين.
- يتعرض لرحمة الله وفضله ويرجوه ويقبل على طاعته لأنه الغفور الشكور العفو الرؤوف الحليم الجواد الكريم.
- يخاف الله ويخشاه بالغيب فلا يقع في المعصية لأنه العزيز شديد العقاب وسريع الحساب ولا تخفى عليه خافية.

وكل اسم وصفة لله تعالى تقتضي عبودية خاصة من العبد، وعلى المسلم أن يحرص على معرفة معانيها وآثارها وكيف يدعو الله بها، ومن هنا كان لإحصاء الأسماء هذه الفضيلة ألا وهي دخول الجنة.

❑ خامسًا: أمثلة على التعبد بأسماء الله تعالى:

والأمثلة التي توضح كيفية التعبد بمعاني أسماء الله كثيرة، من ذلك التعبد لله تعالى باسمه:

– الفتاح ﷻ:

الفتح ضد الإغلاق؛ ومن مقتضيات هذا الاسم أن الله تعالى فاتح أبواب الرحمات، والمستغلقات، والميسر لعباده ما عسر عليهم، والفاتح بينهم وبين خصومهم بالعدل بنصر المؤمنين على عدوهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٦].

ومما يفتح الله لعباده فتح أبواب الرزق، وأنواع العلوم النافعة، والأسباب المعينة والميسرة لإقامة مصالحهم، وفتح أبواب المحنة والفتنة لابتلاء المؤمنين الصادقين وتمييزهم عن الجاحدين والمشركين، ثم يفتح بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون.

كيفية التعبد لله بهذا الاسم:

يتعبد المسلم لربه بهذا الاسم بدعاء المسألة والعبادة جميعًا، فمن دعاء المسألة قول المؤمنين: ﴿رَبَّنَا

﴿افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]، ومن الدعاء ما يُقال عند دخول المسجد كما في حديث أبي حميد ﷺ أن النبي: ﷺ قال: «إذا دَخل أحدكُم المسجِدَ فليقل: اللهم افتح لي أبوابَ رَحمتك، وإذا خرَجَ فليقل اللهم إني أسألك من فضْلك»(١).

وإذا أيقن العبد أن مفاتيح الخير كله بيد الله وحده، فلن يدعو إلا الله، وإذا عمل الأسباب فسيكون اعتماده وتعلق قلبه بالله وحده.

– الحفيظ ﷻ:

من النصوص الشرعية التي ورد فيها اسم الحفيظ:

- قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [سبأ: ٢١].
- قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ﴾ [الشورى: ٦] أي شهيد على أعمالهم يحصيها عليهم ويجزيهم عليها.

فمن حفظه تعالى:

إحاطته وعلمه بكل مخلوقاته وبأعمالهم، فلا يغيب عنه مثقال ذرة من خير أو شر.

يحفظ أولياءه من وقوعهم في الذنوب والمهلكات وسوء الفتن، ويعصمهم من الشيطان ومكره، وينصرهم على عدوهم.

يحفظ السماوات والأرض من الزوال، ويحفظ السماء من أن تقع على الأرض.

ويحفظ مخلوقاته من الآفات إلى الوقت الذي يأذن فيه بموتها أو زوالها، ومن ذلك تسخير الملائكة لحفظ عباده مما لم يقدّره عليهم.

كيفية التعبد لله تعالى بهذا الاسم:

يتعبد المسلم لربه بهذا الاسم بدعاء المسألة ودعاء العبادة، فمن دعاء المسألة: ما ورد في حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إذا أوى أحدُكُم إلى فرَاشِه فلينفضْ فرَاشه بدَاخِلةِ إزاره، فإنه لا يدري ما خَلَفَه عَليه ثم يقول: باسمك رَبي وضَعت جَنبي وبك أرفعُه، إن أمسَكْت نفسِي فارحمها، وإن

(١) أخرجه مسلم (ح٧١٣).

أرسَلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصَّالحِين»[١].

ومن دعاء العبادة حفظ العبد لحدود الله تعالى بأن يكون قريبًا من كل طاعة بعيدًا عن كل معصية؛ ليحفظه الله تعالى فإن الجزاء من جنس العمل، وفي الحديث المشهور: «احفظ الله يحفظك»[٢]، ومن حفظه الله تعالى فلن يضيعه أبدًا.

قم بتعبئة الجدول التالي:

م	اسم الله تعالى	بعض النصوص الشرعية التي دلت على الاسم	كيفية التعبد لله تعالى بهذا الاسم
١		- - -	
٢		- - -	
٣		- - -	

(١) أخرجه البخاري (ح٦٣٢٠).

(٢) أخرجه الترمذي (ح٢٦١٦)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

❑ سادسًا: قواعد في باب الأسماء الله والصفات:

- قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾، وحُسنى جمع أحسن؛ فأسماء الله تعالى لها الحسن الكامل التام، ولا شيء أحسن منها بوجه من الوجوه، وليس في أسمائه جل وعلا ما يوجب نقصًا بحال من الأحوال، فمن زعم أن في أسمائه ما يوهم نقصًا فقد خالف صريح القرآن.
- يجب الإيمان بها على ما يظهر من معانيها المعروفة في لغة العرب؛ لأن الله تعالى أنزل كتابه بلسان عربي مبين، فلا يجوز نفي ما دلّ عليه القرآن والسنة الصحيحة بالعقل.
- ليس للعبد أن يعترض على شيء ثبت في الكتاب والسنة بأنه لا يليق نسبته إلى الله تعالى؛ لأن الله تعالى أعلم بنفسه جل وعلا، والعباد لا يحيطون به علمًا، ومن شبه صفات الله تعالى بصفات المخلوقين؛ فإنه يكون قد أنزل صفات الله تعالى إلى منزلة صفات المخلوقين فتوهم بسبب ذلك أنها لا تليق بالله تعالى.
- نؤمن أن الله تعالى لا يشبهه شيء من مخلوقاته كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].
- لا يعلم حقيقة صفات الله ولا كيفيتها إلا هو، ولا يجوز للعبد أن يتكلم فيما لا يعلمه.

❑ سابعًا: فضل العلم بأسماء الله تعالى وصفاته:

أعظم آية في القرآن آية الكرسي، وسورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن لأنهما متمحضتان في ذكر أسماء الله وصفاته جل وعلا، فأعظم الحديث ما كان عن الله تعالى، والعلم به أعظم العلوم، وآثاره وثماره أعظم الآثار والثمار، ويمكن تلخيص فضل العلم بأسماء الله وصفاته وتوحيده بها في النقاط الآتية:

- أصل أركان الإيمان وأعظمها الإيمان بالله تعالى، وكلما كان العبد أعلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله كان إيمانه أكمل.
- هو أشرف العلوم؛ لأن شرف العلم من شرف المعلوم، ولا أشرف وأعظم من العلم بالله تعالى.

- العلم بالله تعالى يدعو إلى محبته وتعظيمه وإجلاله وخشيته وخوفه ورجائه؛ فيزداد قربًا إلى الله تعالى.
- إن الله تعالى خلق السماوات والأرض وما فيهن ليعرفه الناس ويعبدوه كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].
- يحب الله تعالى من عباده أن تظهر عليهم آثار أسمائه وصفاته، فالله جميل يحب الجمال، كريم يحب الكرم، عليم يحب العلم، جواد يحب الجود، رحيم يحب الرحمة، محسن يحب المحسنين، عدل يحب العدل، جواد يحب الجود.

ناقش كيف يكون الشرك في أسماء الله تعالى وصفاته؟

.....

.....

* * *

الموضوع الخامس: فضل تحقيق التوحيد وصفات أهله

❑ أولاً: كيفية تحقيق التوحيد:

يكون تحقيق التوحيد بمعرفته معرفة حقيقية، والقيام به علمًا وعملاً، وتخليصه وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي.

وممن حقق التوحيد إمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام الذي جعله الله تعالى أسوة للمؤمنين فقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]، وقد أثنى الله تعالى عليه في كتابه وذكر صفاته في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ١٢٠، ١٢١].

- (أُمَّةً): قدوة ومعلمًا للخير، وكان قلبه عامرًا بمعرفة الله تعالى وطاعته فلم يستوحش من قلة السالكين طريق الهداية.
- (قَانِتًا): خاشعًا لله دائمًا على عبادة ربه وطاعته، لم يتركها أو يقصر فيها خوفًا من مخلوق، ولم يتجه قلبه لغير الله.
- (حَنِيفًا): مائلاً عن الشرك إلى التوحيد، ومقبلاً على ربه ومعرضًا عن كل ما سواه، فلم يمل قلبه إلى إرضاء ملك أو رغبة في شيء من الدنيا.
- (وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ): لا في الاعتقاد ولا في القول ولا في العمل.

وبعد أن نوّه الله تعالى بصفاته أمر نبيه محمدًا ﷺ باتباع ملته فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

❑ ثانيًا: تفاوت الناس في تحقيق التوحيد:

يتفاوت الناس في تحقيق التوحيد وتكميله تفاوتًا عظيمًا، ومن جملة من يحقق التوحيد من هذه الأمة السبعون ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن

رسول ﷺ قال: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب». قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون»[1] وهذه الخصال المذكورة في الحديث يجمعها التوكل المذكور في آخر الحديث لأن حقيقة التوكل اعتماد القلب على الله وحده، وطمأنينته به، وثقته به، وعدم التفات القلب إلى من سواه.

❑ ثالثًا: صفات أهل التوحيد:

مما سبق يمكن تلخيص صفات أهل التوحيد فيما يلي:

هم الذين حققوا التوحيد (الألوهية والربوبية والأسماء والصفات) علمًا وعملاً، خالصًا من كل شوائب البدع والشرك والكفر والنفاق.

❑ رابعًا: خصائص التوحيد وفضائله:

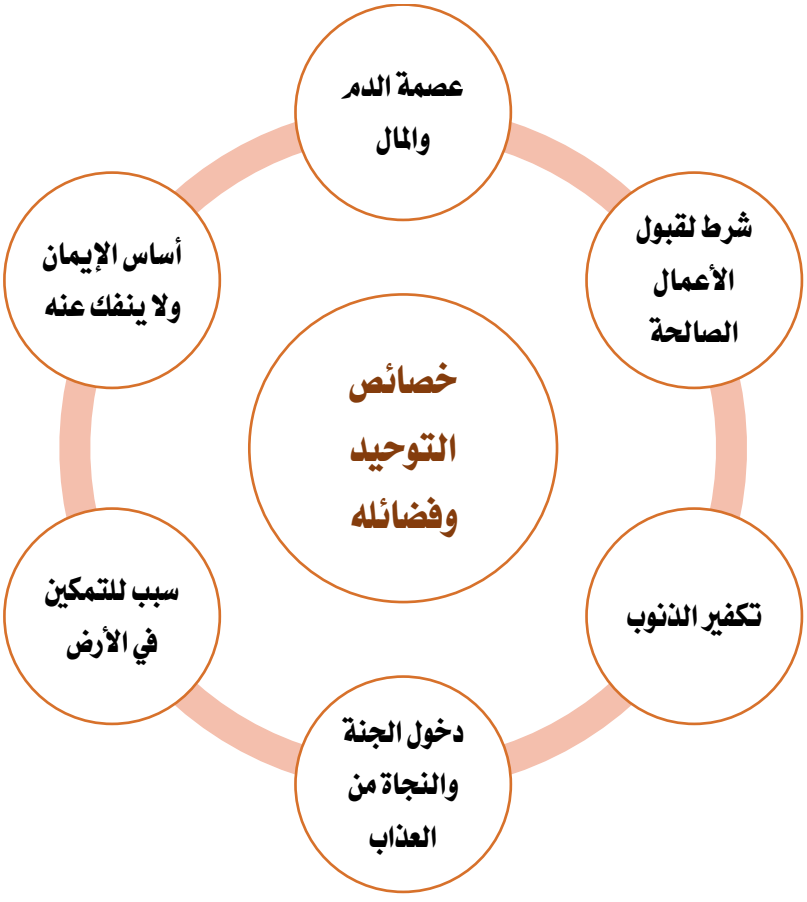

(١) أخرجه البخاري (ح١٣٥٩) واللفظ له، ومسلم (ح٢٦٥٨).

وإذا كان التوحيد هو أساس كل خير فإن فضائله لا يمكن حصرها وبحسب العادّ أن يعدّ أصولها وأن يذكر بعضها، ويكون المذكور تنبيها على غير المذكور، فمن فضائل التوحيد:

- **عصمة الدم والمال:**

عن أبي عبدالله طارق بن أشيم ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله تعالى**»(١).

- **شرط لقبول الأعمال الصالحة:**

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦] وأما الكافر فإن كانت له أعمال صالحة فإن الكفر يفسدها ولا يكون له حظ في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]. وإنما يعجل الله لهم جزاءهم في الدنيا لأنه حَكَمٌ عَدْلٌ لا يظلم الناس شيئًا.

- **تكفير الذنوب:**

فعن أنس بن مالك ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا؛ لأتيتك بقُرابها مغفرة**»(٢)، وأما الشرك فإنه ذنب لا يغفره الله تعالى مهما كان للمشرك من الأعمال الحسنة قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، وفي المقابل فإن الموحّد يغفر الله له بسبب توحيده.

- **دخول الجنة والنجاة من العذاب:**

فعن جابر بن عبدالله ﷺ قال: أتى النبي ﷺ رجل، فقال: يا رسول الله ما الموجِبتان؟ قال: «**من**

---

(١) أخرجه مسلم (ح١٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (ح١٣٥٩) واللفظ له، ومسلم (ح٢٦٥٨).

مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار»[1]. وأما المشرك فقد حرم الله عليه الجنة قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢].

- **سبب للتمكين في الأرض:**

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [مُحَمَّد: ١١]، فمن كان الله مولاه لم يفته شيء، ولم يغلبه شيء كما قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ [النساء: ١٤١]، ووعد الله المؤمنين بالتمكين في الأرض فقال جل وعلا: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥].

كما يضاف إلى فضائل تحقيق التوحيد ما سبق ذكره في فضائل الإيمان فإن التوحيد هو أساس الإيمان ولا ينفك عنه.

* * *

(١) أخرجه مسلم (ح٢٦٩).

ملف الإنجاز:

(١) اكتب ورقة بحثية في الدلائل على ربوبية الله تعالى.

(٢) لخص كتاب القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، تأليف الشيخ مُحَمَّد بن صالح العثيمين.

(٣) صمم ورقة بحثية عن نصوص الكتاب والسنة وآثار السلف الواردة في أهمية التوحيد.

(٤) صمم ورقة بحثية في الرد على التأويل والتمثيل والتشبيه في أسماء الله وصفاته مبينًا حكم كل واحد منها.

(٥) قارن بين معتقد كل من: أهل السنة والجماعة، الجهمية، والأشعرية في كلام الله تعالى.

مصادر التعلم:

(١) كتاب التوحيد، مُحَمَّد بن عبد الوهاب.

(٢) شرح كتاب التوحيد، عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد، مُحَمَّد بن صالح بن العثيمين.

(٤) الملخص في شرح كتاب التوحيد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان.

(٥) القول السديد في شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

(٦) قرة عيون الموحدين، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.

(٧) شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، مُحَمَّد بن صالح بن العثيمين.

(٨) التوحيد وأثره في حياة الفرد والمجتمع، حمد بن إبراهيم الحريقي.

(٩) أسماء الله الحسنى، عبد الله بن صالح بن عبد العزيز الغصن.

(١٠) مقرر الـ (سلم ١٠١) بجامعة الملك فيصل، مُحَمَّد بن عبد العزيز بن سعيد.

التقويم:

(١) عرف التوحيد – لغة واصطلاحًا.

(٢) ناقش منزلة التوحيد من الدين، مدللاً على ما تقول.

(٣) وضح المقصود بتوحيد الربوبية، موضحًا دلائل توحيد الربوبية.

(٤) عرف العبادة – لغة واصطلاحًا –، مبينًا أنواعها، وشروطها.

(٥) اشرح كيف يحقق المسلم توحيد العبادة.

(٦) اكتب كيف يحقق المسلم التوحيد.

(٧) ناقش أثر التوحيد على الفرد والمجتمع.

الوحدة الثانية

الإيمان

أهداف الوحدة:

يتوقع من الدارس بعد إنهائه لهذه الوحدة أن:

١- يشرح مراتب الدين.

٢- يقارن بين مراتب الدين.

٣- يناقش المفاهيم الأساسية المتعلقة بالإيمان بالله تعالى.

٤- يناقش المفاهيم الأساسية المتعلقة بالإيمان بالكتب.

٥- يناقش المفاهيم الأساسية المتعلقة بالإيمان بالرسل.

٦- يناقش المفاهيم الأساسية المتعلقة بالإيمان باليوم الآخر.

٧- يناقش المفاهيم الأساسية المتعلقة بالإيمان بالقدر.

مفردات الوحدة:

الموضوع الأول: مراتب الدين.

الموضوع الثاني: الإيمان بالله تعالى.

الموضوع الثالث: الإيمان بالملائكة.

الموضوع الرابع: الإيمان بالكتب.

الموضوع الخامس: الإيمان بالرسل.

الموضوع السادس: الإيمان بالنبي ﷺ.

الموضوع السابع: الإيمان باليوم الآخر.

الموضوع الثامن: الإيمان بالقدر.

عدد المحاضرات:

الدبلوم: (١٢) محاضرة. الدبلوم العالي: (٦) محاضرات.

تمهيد:

عرفنا في الوحدة الأولى توحيد الله تعالى؛ معناه وأقسامه ومقتضياته، وقد وردت في القرآن الكريم لفظة الإيمان بالله تعالى وبما جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام باشتقاقات متنوعة تجاوزت ٨٠٠ مرة وذلك لعظم منزلة الإيمان، فقد بيّنه الله تعالى – الإيمان – أتمّ بيان وأوضحه، وبيّن النبي ﷺ، مراتبه، وشرائعه الواجب منها والمندوب، ودلّ على طريق الوصول إلى أعلى دراجته، وتتفاوت مراتب الموحدين عند الله تعالى بحسب ما في قلوبهم، وبما تعمله جوارحهم، قال النبي ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[1]. فما مراتب دين الإسلام؟ وما أركان الإيمان؟ وما الذي يجب على المسلم أن يؤمن به؟ وكيف يصل بذلك إلى أعلى الدرجات عند الله تعالى؟

(١) أخرجه مسلم (ح٧٢).

الموضوع الأول: مراتب الدين

❑ أولاً: مراتب الدين:

إن الدين الإسلامي مراتب متعددة، ويتفاوت المنتسبون إليه، دلّ على هذا قول الله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٤].

فذكرت الآية مرتبتين من مراتب الدين: مرتبة الإسلام، ومرتبة الإيمان؛ حيث نفت عن أولئك الأعراب مرتبة الإيمان وأثبتت لهم مرتبة الإسلام. وذكر الله تعالى في آيات أخرى مرتبة ثالثة من مراتب الدين وهي مرتبة الإحسان كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥][(١)]، وعليه فمراتب الدين ثلاثة: الإسلام والإيمان والإحسان.

(١) قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: (ومضمون الآية الأمر بالإنفاق في سبيل الله في سائر وجوه القربات ووجوه الطاعات، وخاصة صرف الأموال في قتال الأعداء، وبذلها فيما يقوى به المسلمون على عدوهم، والإخبار عن ترك فعل ذلك بأنه هلاك ودمار لمن لزمه واعتاده، ثم عطف بالأمر بالإحسان، وهو أعلى مقامات الطاعة، فقال: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

❑ ثانيًا: حديث جبريل عليه السلام:

ووردت هذه المراتب الثلاث مجموعة في حديث جبريل رضي الله عنه المشهور، ونصّه:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم؛ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا مُحَمَّد أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا**»، قال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: أخبرني عن الإيمان، قال: «**تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»، قال: صدقت. قال: أخبرني عن الإحسان. قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، قال فأخبرني عن الساعة. قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**» قال: فأخبرني عن أمارتها. قال: «**أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**» قال: ثم انطلق فلبثت مليًا ثم قال لي: «**يا عمر أتدري من السائل؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»[(١)].

يعد هذا الحديث من أصول الإسلام؛ لأنه اشتمل على مراتب الدين، وهي: الإسلام والإيمان والإحسان، وفيه ذكر أركان الإسلام والإيمان، وفي آخره ذكر علامات الساعة، وهي داخلة في الإيمان باليوم الآخر من أركان الإيمان.

❑ ثالثًا: العلاقة بين مراتب الدين الثلاثة:

مراتب الدين على الترتيب، أعلاها مرتبة الإحسان ثم الإيمان ثم الإسلام، ولا يبلغ المسلم إلى مرتبة الإحسان حتى يحقق مرتبتي الإسلام والإيمان، فبالنطق بالشهادتين يدخل الإنسان

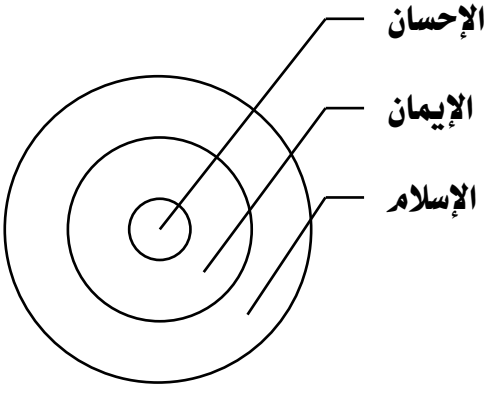

(١) أخرجه مسلم (ح٩)، والحديث متفق عليه.

دائرة الإسلام الواسعة ويؤدي ما يجب عليه من الأعمال الصالحة، وأهمها أركان الإسلام من الصلاة والصيام والزكاة والحج، فإذا استقر في قلبه محبة الله والإيمان به ومحبة رسوله ﷺ والإيمان به وتيقن بالبعث والحساب وغيرها من أعمال الإيمان القلبية وظهر أثرها على جوارحه صار مؤمنًا بذلك، فإذا زكت نفسه واستشعر مراقبة الله له في كل حال ووقت فعبد الله تعالى مقبلاً متلهفًا لها متلذذًا ارتفع إلى مرتبة الإحسان.

فمرتبة الإسلام عامة ومرتبة الإيمان خاصة، وأخص منها مرتبة الإحسان، فكل محسن مؤمن ومسلم، وليس كل مؤمن محسن، وكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمن.

* * *

الإسلام

التعريف بلفظ (الإسلام) اصطلاحًا:

يرد لفظ (الإسلام) في الكتاب والسنة مقرونًا بلفظ الإيمان كما في حديث جبريل عليه السلام، وتارة يرد مفردًا كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران ١٩]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ويختلف معنى (الإسلام) تبعًا لذلك:

١- **معنى (الإسلام) في حال الانفراد:**

الدين كله الشامل لجميع مراتبه، أي دين الإسلام، ويُعَرّف بأنه: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله. ومعنى الإسلام في الآيتين يعمّ الدين الحقّ الذي بعث به الرسل من ربهم وكان خاتمتهم نبينا مُحَمَّد ﷺ، فدين الأنبياء واحد وشرائعهم شتى.

٢- **معنى (الإسلام) إذا ورد مقرونًا بالإيمان:**

الأعمال الظاهرة من الأقوال والأفعال، ويكون الإيمان حينئذ الأعمال الباطنة. والمناسبة في تسمية الأعمال الظاهرة الإسلام ما فيها من الاستسلام والخضوع والانقياد لله تعالى.

أركان الإسلام:

جاء في حديث عبد الله بن عمر ﷺ قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»(١).

وإذا تأملنا أنواع العبادات الظاهرة وجدنا هذه الأركان الخمسة مشتملة على أصولها، فالعبادات إما عبادات بالقول أو بالبدن أو بمال، فقول الشهادتين أصل العبادات القولية، والصلاة والصوم أصل العبادات البدنية، والزكاة أصل العبادات المالية، والحج اجتمعت فيه العبادتان المالية والبدنية، وهذه الفرائض أصول العبادات، وما عداها فرع عنها ومكمّل لها، ولا يقبل فرعٌ حتى يؤتى بأصله.

١- شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله:

هذا الركن مكون من جملتين:

- الجملة الأولى: (شهادة أن لا إله إلا الله):

معناها: لا معبود بحق إلا الله، ففيها نفي استحقاق العبادة عن كل ما سوى الله وإثباتها لله عز وجل وحده لا شريك له في عبادته، قال الله تعالى: ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير﴾ [الحج: ٦٢].

- الجملة الثانية: (وأن محمدًا رسول الله):

معناها: التصديق الجازم بأن محمدًا عبد الله ورسوله إلى الثقلين الإنس والجن، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥] فيجب تصديقه في جميع ما أخبر به، والانقياد لما أمر به، والكفّ عمّا نهى عنه،

جملتا الشهادة متلازمتان؛ فلا ينفع الإيمان بالله تعالى دون الإيمان برسالة محمد ﷺ، ولا ينفع الإيمان برسالة محمد ﷺ دون الإيمان بالله تعالى.

(١) أخرجه البخاري (ح٨)، ومسلم (ح١٦).

واتباع شريعته، مع الرضا بما قضاه، والتسليم له، واعتقاد أن طاعته هي طاعة الله تعالى، ومعصيته معصية الله تعالى.

شروط شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله:

قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون:١]، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥]، فشهادة المنافقين بأن محمدًا رسول الله مردودة، وهذا دليل على أنه ليس كل من تلفظ بالشهادتين يكون قد أتى بهذا الركن، وقد استقرأ العلماء الأدلة من الكتاب والسنة فوجدوا جملة من الشروط إذا لم توجد فيمن يتلفظ بالشهادتين فإنها لا تنفعه عند الله تعالى.

وشروط صحة شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله سبعة، وهي:

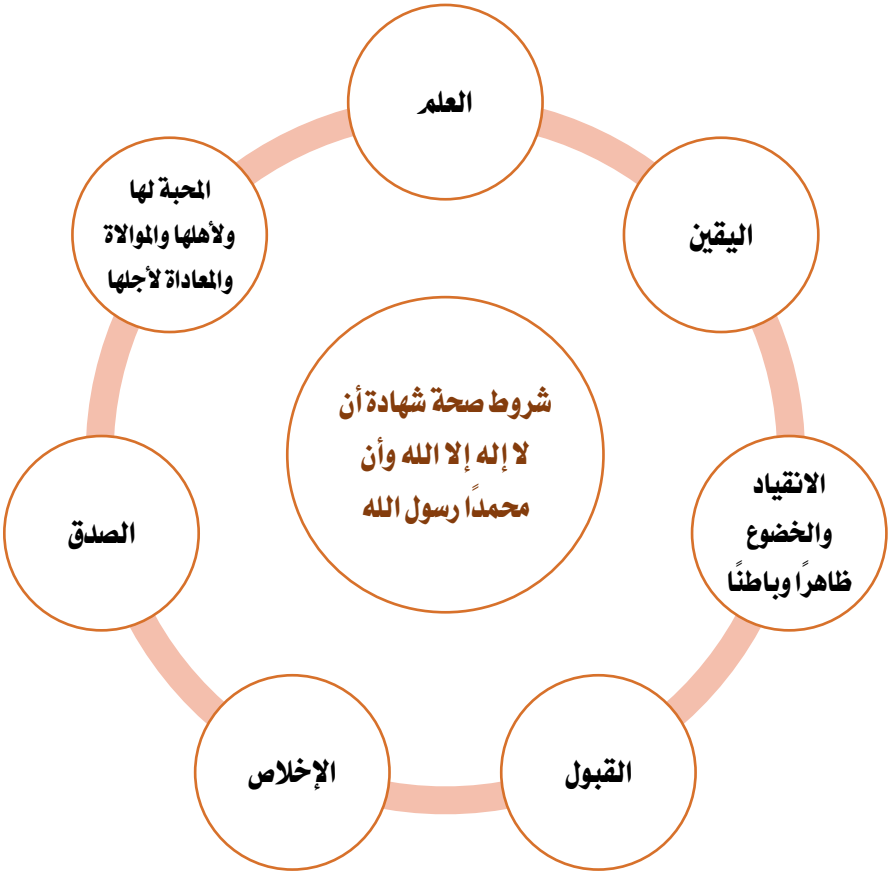

(١) العلم:

معنى هذا الشرط: أي يعرف معناها الذي بيّناه قريبًا، ونقيض هذا الشرط الجهل بمعناها.

دليل هذا الشرط: قول الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩]، فلما نفى الشفاعة عن المعبودات من دون الله من الأصنام والأوثان أثبتها للموحدين الذين شهدوا بالحق وهو التوحيد على بصيرة وعلم، فهم الذي تنفع شفاعتهم بعد إذن الله تعالى لهم بالشفاعة ورضاه عن المشفوع له، أي من نطق بشهادة أن لا إله إلا الله وهو يعلمون معناها بقلوبهم. وقول النبي ﷺ: «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة»(١).

(٢) يقين القلب:

معنى هذا الشرط: أي يجزم بمعنى بالشهادتين، ونقيض هذا الشرط الشك في معنى الشهادتين.

دليل هذا الشرط: قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥] ومعنى الريب: الشك. وقول النبي ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بها عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة»(٢).

(٣) الانقياد لها والخضوع ظاهرًا وباطنًا:

معنى هذا الشرط: عبادة الله وحده وعدم الاعتراض على شيء من أحكامه، والاستسلام لسنة النبي ﷺ، واتباعه، والرضا بحكمه.

دليل هذا الشرط: قول الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

(٤) القبول لها:

معنى هذا الشرط: ألا يَرُد شيئًا من لوازمها ومقتضياتها كأن يردّ شيئًا من معناها أو من الأحكام الشرعية.

دليل هذا الشرط: قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨]، فهذا أمر للمؤمنين بأن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه والعمل بجميع أوامره وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم (ح٤٣).

(٢) أخرجه مسلم (ح٤٤).

(٥) الإخلاص فيها:

معنى هذا الشرط: فلا يريد بها إلا الله تعالى، وينافي الإخلاص الشرك بأن يصرف شيئًا من خصائص الألوهية لغير الله تعالى، والرياء بأن يقولها مجاملة ومحاباة.

دليل هذا الشرط: قول الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥] وقول النبي ﷺ: «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه»[(١)]. فمن قالها مخلصًا فيها كان له نصيب من شفاعة النبي ﷺ بحسب إخلاصه فيها، ومن لم يقلها عن إخلاص فلا حظ له في شفاعة النبي ﷺ الخاصة بالمؤمنين.

(٦) الصدق:

معنى هذا الشرط: وينافيه الكذب والنفاق؛ فأما الكافر فهو معلن بتكذيبه بالشهادتين، وأما المنافق فهو مصدق بلسانه مكذب بقلبه، والمؤمن مصدق بقلبه ولسانه.

دليل هذا الشرط: قول الله: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣]، وقال النبي ﷺ: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار»[(٢)].

وهذه الشروط لا بدّ من تحقيقها لينجو العبد في الآخرة، وأمّا في الحكم الدنيوي فيكفي النطق بالشهادتين للحكم بإسلامه، وحسابه على الله عز وجل.

(٧) المحبة لها ولأهلها، والموالاة والمعاداة لأجلها:

معنى هذا الشرط: أن يحب العبد الله عز وجل، ويحب رسوله ﷺ، ويحب من يحبهما، ويوالي من يحبهما ومن أجلها، ويعادي من لا يحبهما ومن أجلها.

دليل على المحبة له ولأهلها قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]، فجعل الموصوفين بهذه الصفات في مقابل أهل الردّة، وقول

(١) أخرجه البخاري (ح٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (ح١٢٨)، ومسلم (ح٥٣).

النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[1].

أكمل الجدول التالي:

الشرط	المعنى	الدليل
العلم		
يقين القلب		
الانقياد لها والخضوع ظاهرًا وباطنًا		
القبول لها		
الإخلاص فيها		
الصدق		
المحبة لها ولأهلها، والموالاة والمعاداة لأجلها		

(١) أخرجه البخاري (ح١٥)، ومسلم (ح٦٩).

٢- باقي أركان الإسلام:

- **الصلاة**: هي أول العبادات بعد التوحيد، وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، وتركها سبب في دخول النار، والمحافظة عليها سبب في دخول الجنة قال ﷺ: «**والصلاة نور**»[(١)] أي: نور للعبد في وجهه ونور للعبد في قلبه ونور للعبد في قبره ونور للعبد في حشره وكلما ازداد المسلم منها ازداد نورًا وعلمًا وإيمانًا[(٢)].
- **الزكاة**: سبب في بركة المال ومنع الزكاة سبب في منع القطر من السماء، ودليل الصلاة والزكاة قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].
- **الصيام**: زكاة للنفس وتطهير لها من الأخلاق الرذيلة وهو سبب للتقوى قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].
- **الحج**: وهو فرض على المستطيع، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران: ٩٧].

* * *

(١) أخرجه مسلم (ح٢٢٣).

(٢) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ١/١٣٦.

الإيمان

التعريف بالإيمان:

تقدم أن الإسلام والإيمان يختلف معناهما في حال الانفراد والاقتران، وعرفنا أن معناهما في حال الانفراد دين الإسلام كله، وأما الإيمان في حال الاقتران ففسره النبي ﷺ بأعمال القلب، ومعناه اعتقاد القلب الجازم المستلزم لأعمال القلب واللسان والجوارح جميعًا، فليس معنى الإيمان تصديق القلب وحده، بل لابد مع التصديق من الاستقامة الظاهرة، وترك الاستقامة يدل على كذب الباطن أو ضعفه.

* * *

الإحسان

التعريف بالإحسان:

الإحسان لغة: يطلق في لغة العرب على الإتقان وعلى إيصال النفع للآخرين.

الإحسان اصطلاحًا: إكمال العبادة ظاهرًا وباطنًا، ومثاله أن يفعل المحسن الصلاة فيكون باطنه مشغولاً بالتدبر والخشوع والخشية لله، ويكون ظاهره مشغولاً بإتقان أركانها وواجباتها وسننها. ثم يكون هذا حال المحسن في عباداته كلها.

درجات الإحسان:

جعل النبي ﷺ الإحسان على درجتين:

الأولى: الدرجة العليا من الإحسان:

أن تعبد الله مع استحضار أنك تراه، وذلك بأن يتنور القلب بالإيمان حتى يستحضر أنه بين يدي الرحمن، وهذا يوجب الخشية والتعظيم لله عز وجل.

الثانية: استحضار مراقبة الله تعالى للعبد، ومشاهدته له، واطلاعه عليه، وقربه منه، وهذا يوجب للعبد الإخلاص وإتقان العمل، ويمنعه من إرادته غير الله تعالى بالعمل، والدليل قوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، وقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ . الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الشعراء: ٢١٧، ٢١٨].

كيف تصل لمرتبة الإحسان؟

ربط النبي ﷺ بين الإحسان والعبادة، والعبادة تكون بالقلب واللسان والجوارح، فأعلى مراتب الدين أن يحقق العبد الإحسان في قلبه ولسانه وجوارحه؛ فلا يخرج شيء منها عن تمام مراقبة الله تعالى.

ولما كانت هذه المرتبة بهذه المنزلة الرفيعة احتاجت إلى مجاهدة وتوفيق من الله تعالى للترقي في مراتب الدين، ولا يمكن أن يبلغ العبد مرتبة الإحسان إلا بتحقيق الشهادتين بشروطهما، والقيام بالفرائض على وجهها، واجتناب المحرمات، ومراقبة الله تعالى في جميع أقواله وأعماله وخواطر قلبه، ويأتي بحق الله تعالى في مرتبتي الإسلام والإيمان، ثم يكمل الفرائض بالنوافل، ويستعين على ذلك بالصبر واليقين، فمن لا صبر له فإنه سينقطع عند العقبات، ومن لا يقين له فإنه ستفتر همته مع طول الوقت، وقد امتدح الله تعالى نبيه إبراهيم عليه السلام ووصفه بأنه كان أمة قانتًا لله حنيفًا، وأثنى عليه في استجابته لأمره، وذكر من حاله قبل ذلك أنه طلب طمأنينة القلب بالإيمان وزيادة اليقين بأن سأل ربه أن يريه كيف يحي الموتى، فقال الله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠].

ثمرات الإحسان:

١- محبة الله للمحسنين: قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

٢- معية الله ونصره وتأييده للمحسنين: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

٣- وعد الله المحسنين بالجنة والنظر إلى وجهه الكريم: قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦].

٤- إحسان الله وإنعامه على المحسنين: قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

* * *

الموضوع الثاني: الإيمان بالله تعالى

❑ أولاً: تعريف الإيمان:

- **الإيمان في اللغة**: التصديق.
- **الإيمان شرعًا**: تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.

وهذا المعنى عليه إجماع السلف، وقد عبّروا عنه بألفاظ مختلفة منها:

١- قول الإمام الشافعي: وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم وممن أدركناهم: أن الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخرين[(١)].

٢- قال الإمام البخاري قبل موته بشهر: كتبت عن ألف وثمانين رجلاً ليس فيهم إلا صاحب حديث، كانوا يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص[(٢)].

ومعنى كلامهم أن الإيمان يشمل:

١- **قول القلب**: هو التصديق الجازم بما أخبر الله تعالى وأخبر به النبي ﷺ، كالإخبار عن أسماء الله تعالى وصفاته، والملائكة، والجنة والنار، وأخبار الفتن، وغير ذلك.

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥/٩٥٧.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥/٨٨٩.

٢- **قول اللسان:** هو النطق بالشهادتين، وتلاوة القرآن، والدعاء، وغيرها من عبادات اللسان.

٣- **عمل القلب:** هو العبادات القلبية مثل: الإخلاص، وحب الله تعالى ورسوله ﷺ، والتوكل، والرجاء، والمحبة، والصبر، والاستسلام والخضوع للشرع، وبغض الشرك والمعصية.

٤- **عمل الجوارح:** هو العبادات البدنية مثل: الصلاة، والصوم، وإماطة الأذى عن الطريق.

الدليل على دخول عمل القلب واللسان والجوارح في مسمّى الإيمان:

الأدلة على دخول عمل القلب وقول اللسان وعمل الجوارح في مسمى الإيمان كثيرة في الكتاب والسنة، ونذكر هنا دليلاً على دخول كل واحد منها:

الأدلة من القرآن الكريم:

١. عمل القلب: قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١]، وهؤلاء هم المنافقون يتلفظون بالإيمان ويبطنون الكفر، فأفادت الآية عدم اعتبار التلفظ بالإيمان باللسان وحده دون تصديق القلب.

٢. القول: قول الله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ . فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٦، ١٣٧] وسمى قولهم مثل ذلك إيمانًا، والمعنى: فإن قالوا مثل ما قلتم كانوا مؤمنين.

٣. عمل الجوارح: قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣] قال البخاري: يعني صلاتكم عند

-كل عبادة وقربة وردت في الشرع فهي من الإيمان سواء كانت بالقلب أو باللسان أو بالجوارح.

- قد تجتمع أنواع العبادات في عبادة واحدة كالصلاة مثلاً؛ فقد اجتمع فيها عمل القلب من الإخلاص، وحضور القلب، والتدبر، وعمل اللسان من تلاوة القرآن والتكبير والتسبيح وسائر أذكار الصلاة، وعمل البدن من القيام والركوع والسجود.

البيت[1]، فسمّى الصلاة إيمانًا.

الأدلة من السنة المطهرة:

- الدليل الجامع لكل ما سبق ما رواه ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[2].

فجعل النبي ﷺ كما يلي:

- قول اللسان (قول لا إله إلا الله).
- عمل الجوارح (إماطة الأذى عن الطريق).
- عمل القلب (الحياء) من شعب الإيمان، على اختلاف ما بينها من المنزلة.

ومن الأدلة الأخرى من الكتاب والسنة على دخول عمل القلب واللسان والجوارح في مسمّى الإيمان:

(١).....

(٢).....

(٣).....

❑ ثانيًا: زيادة الإيمان ونقصانه:

كلما كان العبد أطوع لله تعالى بقلبه ولسانه وجوارحه كان إيمانه أقوى قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ [الأنفال:٢]، فالمؤمنون الكاملون الصادقون إذا ذُكر الله خافوا وخشوا خشية تحملهم على الطاعة وتمنعهم عن المعصية، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم تصديقًا ويقينًا على تصديقهم؛ لأنه يحضرون قلوبهم ويتدبرون كلام ربهم فيحصل لهم بذلك الخير والرغبة في الخير والازدجار عن الشر، فيزيد بذلك إيمانهم. وفي مقابل

---

(١) أخرجه البخاري (ح٤٤٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (ح٥٣)، ومسلم (ح٢٣).

ذلك إذا قصّر العبد في واجب من واجبات الدين نقص من إيمانه بحسب ذلك فعن أبي سعيد الخدري ﷺ، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[1]، وكونه أضعف الإيمان يستلزم وجود إيمان أقوى منه، وبحسب تفاوت الناس في إيمانهم يتفاوتون في قربهم من الله تعالى ودخولهم تحت وَلايته المقتضية لحبه ونصره وتأييده في الدنيا، ونعيمه وثوابه في الدار الآخرة كما ورد في الحديث القدسي: عن أَبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إِنَّ اللَّهَ قال: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، ومَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عليه، ومَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حتى أُحِبَّهُ»[2].

❑ ثالثًا: الإيمان بالله (الركن الأول من أركان الإيمان):

للإيمان ستة أركان يوضحها الشكل التالي:

ومن خلال هذا الموضوع نركز الحديث على الركن الأول من أركان الإيمان (الإيمان بالله)، ثم نستعرض بقية الأركان في الموضوعات التالية:

(١) أخرجه مسلم (ح٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (ح٦١٣٧).

معنى الإيمان بالله تعالى:

التصديق الجازم بربوبية الله تعالى وألوهيته وحده لا شريك له، وإثبات ما جاء في القرآن الكريم والسنة الصحيحة من الأسماء الحسنى والصفات العلى.

لوازم الإيمان بالله تعالى:

ليكون العبد صادقًا في إيمانه؛ فلا بد من أن يأتي بما يستلزمه الإيمان ويقتضيه مثل:

١- تعلق القلب بالله وحده:

فهو سبب لسعادته في الدنيا والآخرة، ويورثه الاستغناء بالله تعالى عن كل من سواه؛ لأنه يوقن بأن الله تعالى المدبّر لكل شيء، وبيده مفاتح الخير كله، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع؛ فلا يرجو مخلوقًا ولا يخافه من دون الله.

٢- كمال الانقياد:

تقدم أن من شروط (لا إله إلا الله) المحبة؛ ولكن كيف يعرف العبد مقدار محبته لهذه الكلمة؟ وهل حقق ما يجب عليه منها؟ أو تجاوز ما يجب عليه إلى ما فوق ذلك من الدرجات العالية من المحبة؟

قال الحسن ﷺ: ادعى قوم محبة الله فامتحنهم الله بهذه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١]، أي أن التزام العبد بالأوامر والنواهي علامة على ما في قلبه من المحبة لله ورسوله، وفي الحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»(١)، فمن فعل الواجبات وترك المحرمات فقد أتى بما يجب عليه من المحبة لله ورسوله ﷺ، فإذا زاد على ذلك فتقرّب بالنوافل واجتناب المكروهات، وقدّم ذلك على هوى النفس ورغباتها؛ فإنه يترقى في مراتب المحبة لله تعالى ورسوله ﷺ، والناس يتفاوتون في ذلك تفاوتًا كبيرًا.

٣- الولاء والبراء:

(أ) **الولاء**: ويكون لله تعالى ولرسوله ﷺ وللمؤمنين كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ

---

(١) أخرجه البخاري (ح١٥)، ومسلم (ح٦٩).

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة:٥٥]، وموالاة المؤمنين تكون بمحبتهم ورحمتهم وتفقد أحوالهم ونصرتهم وبذل النصح لهم، قال النبي ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[(١)] وقال: «إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا» وشبك بين أصابعه[(٢)].

والسبب الذي استحق المؤمنون به الولاء اشتراكهم في الإيمان بالله وحده، وكلما قوي السبب قوي المسَبّب وهو الولاء، وعليه فمن كان إيمانه أكمل استحق من الولاية أكثر من غيره، ومن ضعفت استقامته أو وقع في شيء من المعاصي نقص الولاء له بحسب ذلك؛ فيحب بحسب ما معه من الإيمان والطاعة ويُبغض بحسب ما معه من المنكرات والمعاصي.

(ب) **البراء**: ويكون من الكافرين، واقتضي بغضهم ورد باطلهم وترك التشبه بهم وجهادهم بالمال والنفس والمال، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

* * *

(١) أخرجه البخاري (ح٦٠١١)، ومسلم (ح٢٥٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (ح٢٥٨٥).

(١) البراءة من الكافرين لا تتعارض مع ما يلي:

- التعامل معهم.
- دعوتهم والحرص على هدايتهم كما هي سنة أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم

(٢) البراءة من الكافرين لا تبيح ما يلي:

- ظلمهم.
- التعدي عليهم بغير وجه حق.

(٣) البراءة من الكافرين لا تمنع ما يلي:

- برّهم والإحسان إليهم: قال تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة ٨].
- عيادتهم: قد دخل النبي ﷺ على غلام يهودي مرض فعاده ودعاه للإسلام [رواه البخاري]، وفي الحديث «لئن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النَعَم» متفق عليه.

ثمرات الإيمان بالله تعالى:

للإيمان بالله تعالى ثمرات لا تحصر؛ لأن كل خير يناله العبد في الدنيا والآخرة فهو ثمرة من ثمرات الإيمان بالله وحده، وبالإيمان تنقلب البلايا والمحن نعمًا وخيرًا كما قال النبي ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء

صبر فكان خيرًا له»[١]، ومن جملة آثار الإيمان العظيمة:

(١) حلاة الإيمان:

قال النبي ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»[٢]، ومن وجد حلاوة الإيمان لم يكن عباداته مجرد حركات، بل يجد لها لذة وحلاوة عبّر عنها أحد السلف بقوله: لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من السعادة لجالدونا عليه بالسيوف.

(٢) عدم الخلود في النار:

فقد يدخل المسلم النار بسبب معاصيه لكن إيمانه يمنعه من الخلود فيها، وفي الحديث: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة»[٣].

(٣) ثبات القلب والقوة في الحق والصبر عليه:

فإن الله تعالى مع أوليائه يؤيدهم ويثبتهم ويهديهم، ومن أمثلة هذا التأييد قول الله تعالى لكليمه موسى وهارون عليهما السلام حين أرسلهما لدعوة فرعون: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه:٤٦]، فلم يأبه موسى؛ بفرعون وجنده وبالسحرة وسحرهم الذي وصفه الله تعالى بأنه عظيم، ثم كان ما كان مع سحرة فرعون، فلما دخل الإيمان في قلوبهم وآمنوا لم يأبهوا بتهديد فرعون لهم بالقتل وقالوا له: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه: ٧٢].

---

(١) أخرجه مسلم (ح٢٩٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (ح١٦)، ومسلم (ح٤٣).

(٣) أخرجه مسلم (ح١٩٣).

(٤) هداية الله تعالى:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ١٧٥]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٧].

(٥) طيب الحياة الدنيا:

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧] فيرزقهم الله الطمأنينة في الحياة الدنيا وعدم الالتفات لما يشوش قلوبهم، ويرزقهم رزقًا حلالاً طيبًا، ويكون جزاءهم الأوفى يوم القيامة، قال ابن كثير: "والحياة الطيبة تشتمل وجوه الراحة من أي جهة كانت"، ثم نقل أقوالاً منه: الرزق الحلال الطيب، ومنها: القناعة، ومنها: السعادة، ومنها العمل بالطاعة والانشراح بها ثم قال: "والصحيح أن الحياة الطيبة تشمل هذا كله".

(٦) المحبة في القلوب:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]. أي محبة ومودة في قلوب المؤمنين، ومن كان له في القلوب المحبة حصل له من تيسير الأمور ومن الخيرات والدعوات والإرشاد والقبول والإمامة ما الله به عليم.

(٧) حصول الفلاح الذي هو إدراك المطلوب والنجاة من كل شر:

قال تعالى: بعد ذكر جملة من صفات المتقين: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥].

(٨) دفع الشبهات والوساوس والسلامة من الضيق الذي يشعر به الكافرون:

فالمؤمن يعرف الحكمة من خلقه، ويدرك حقيقة الابتلاء، وأن الدنيا دار ابتلاء وعبور، وأن الجنة هي دار القرار، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام ١٢٥]، وقال النبي ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن

أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له»[1].

(٩) حصول وَلاية الله تعالى الخاصة:

وهي أعظم ما تنافس فيه المتنافسون وأجل ما حصّله الموَفّقون، ومن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ . لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤].
- قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].
- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ . وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦]، ومن آثار وَلاية الله تعالى للمؤمنين أنه يدافع عنهم جميع المكاره وينجيهم من الشدائد كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آَمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨].

(١) عدِّد صورًا لعبادات القلب وصورًا لعبادات اللسان:

عبادات القلب	عبادات اللسان

(١) أخرجه مسلم (ح٢٩٩٩).

(٢) عدد بعض نماذج للولاء والبراء من التاريخ الإسلامي.

.....

.....

.....

* * *

الموضوع الثالث: الإيمان بالملائكة

خلق الله الخلق على صور وهيئات مختلفة كما جعل الحكمة من الخلق مختلفة كذلك، فقد خلق الله الإنس والجن ليبلوهم أيهم أحسن عملاً، فكان منهم المؤمن ومنهم الكافر. وخلق الله الشيطان ليبتلي الناس به فهو مقيم على كفره يعيش من أجل إضلال الناس. وخلق الله خلقًا آخر لا يعصونه فيما أمرهم وله يسجدون، هم في عبادة مستمرة وتعظيم للحي القيوم، فمن هؤلاء الخلق؟ وما صفتهم؟ وما أعمالهم؟ إنهم الملائكة.

❑ معنى الملائكة:

أصل تسمية المَلَك من المألك، وهو مشتق من الألوكة والمألكة وهي الرسالة، فالملائكة هم رسل الله.

❑ الإيمان بالملائكة:

هو التصديق المجمل بوجودهم، وأنهم عبيد لله: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦]، ثم الإيمان المفصّل بكل ما ثبت في القرآن الكريم والسنة النبوية من أسمائهم وصفاتهم وأصنافهم وأفعالهم مما سيأتي ذكر بعضهم إن شاء الله تعالى.

❑ دليل وجوب الإيمان بالملائكة:

الأدلة على وجوب الملائكة كثيرة في القرآن والسنة؛ منها:

أولاً: القرآن الكريم:

- قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].
- قوله تعالى: .....

.....

ثانيًا: السنة النبوية:

- تقدم في حديث جبريل؛ ذكر الملائكة ضمن أركان الإيمان.
- قوله ﷺ: .....

.....

❑ خلق الملائكة:

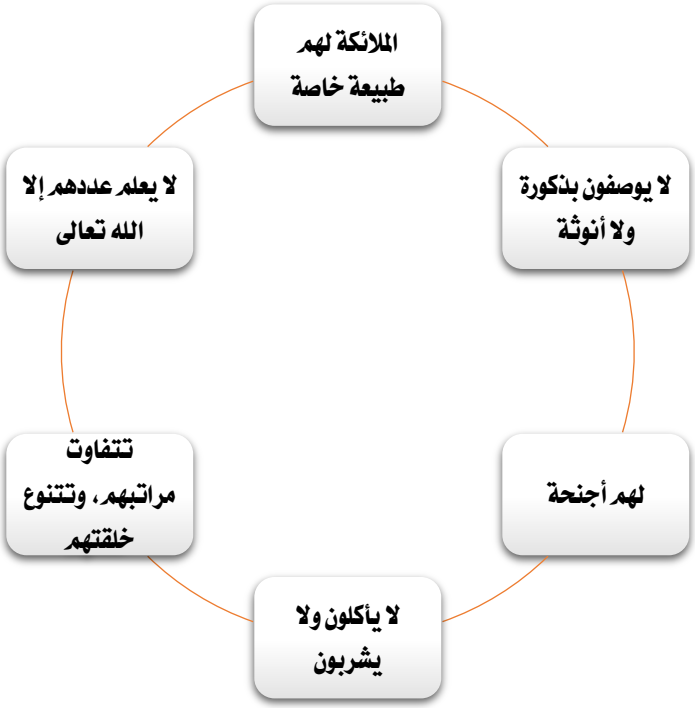

(١) الملائكة لهم طبيعة خاصة:

تختلف طبيعتهم عن طبيعة البشر والجن، فعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»[(١)].

(٢) لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة:

قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩] وهذا رد على مشركي العرب الذين كانوا يعتقدون أن الملائكة إناث، وأنهن بنات الله، تعالى الله عما يقولون.

---

(١) أخرجه مسلم (ح٧٤٩٥).

(٣) لهم أجنحة:

قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١].

(٤) لا يأكلون ولا يشربون:

كما ذكر تعالى في قصة إبراهيم؛ مع الملائكة الذين أرسلهم إلى قرى قوم لوط عليه السلام.

(٥) ليسوا على خلقة واحدة أو مرتبة واحدة:

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام»[(١)].

(٦) لا يعلم عددهم إلا الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، ويدل على كثرتهم أنه (يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم)[(٢)]، وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أطّت السماءُ وحُقّ لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته لله ساجدًا»[(٣)].

❑ ممن ورد ذكره من الملائكة:

من ورد ذكره من الملائكة			
جبريل عليه السلام	مالك	ملك الموت	حملة العرش
ميكائيل	منكر ونكير	الكرام الكاتبون	الموكلون بالنطف في الأرحام
إسرافيل	هاروت وماروت	الحفظة الموكلون	الملائكة السياحون

(١) أخرجه أبو داود (ح٤٧٢٧)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

(٢) أخرجه البخاري (ح٣٢٠٧).

(٣) أخرجه الترمذي (ح٢٣١٢)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي.

- **جبريل** عليه السلام:

وهو أمين الوحي الذي ينزل به على الأنبياء والرسل، ووصفه الله تعالى بالقوة وحسن المنظر قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى . ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ [النجم: ٥، ٦] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ . مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩ -٢١].

وقد رآه النبي ﷺ على صورته الحقيقية (منهبطًا من السماء سادًا عِظَمُ خَلْقِه ما بين السماء إلى الأرض)[١]، وله ستمئة جناح[٢]، كل جناح منها قد سد الأفق، يسقط من جناحه التهاويل[٣] من الدرر واليواقيت[٤]، وكان ذلك مرتين كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى . عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم: ١٣، ١٤] كما أتى النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي، ورآه الصحابة رضي الله عنهم[٥]. وكان يدارس النبي ﷺ القرآن في رمضان، وقاتل معه يوم الخندق كما قاتل بني قريظة.

- **وميكائيل**: وهو الموكل بالمطر.
- **وإسرافيل**: وهو الموكل بالنفخ في الصور.
- **مالك**: الموكل بالنار وعذابها، ومن معه من الزبانية ورؤساؤهم تسعة عشر، والذين يجرون جهنم يوم القيامة ففي الحديث: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»[٦]، وهذا العدد يساوي ٤٩٠٠ مليون ملك.
- **رضوان**: خازن الجنة، ومن معه من الملائكة.
- **منكر ونكير**: الموكلان بسؤال الميت في قبره عن ربه ودينه ونبيه ﷺ.

---

(١) أخرجه مسلم (ح٤٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (ح٣٢٣٢).

(٣) الألوان المختلفة.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (ح٢٨٢)، وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيق المسند (١٨٤/٦).

(٥) أخرجه مسلم (ح٤٢١).

(٦) أخرجه مسلم (ح٧١٦٤).

- **هاروت وماروت.**
- **وملك الموت:** الموكل بقبض الأرواح ولا يثبت له اسم خاص.
- **والكرام الكاتبون** الموكلون بكتابة أعمال العباد.
- **والحفظة الموكلون** بحفظ العبد من بين يديه ومن خلفه، وهم المعقبات.
- ومنهم **حملة العرش.**
- ومنهم **الموكل بالنطف** في الأرحام، وتخليقها وكتابة عملها ورزقها وشقي أو سعيد.
- ومنهم **ملائكة سياحون** يتبعون مجالس الذكر.

❑ عبادة الملائكة لله تعالى:

جاء في الكتاب والسنة وصف الملائكة بأنواع من العبادة، وبالاستمرار فيها دون فتور أو تعب؛ منها:

(١) التسبيح والسجود:

- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].
- قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠].

(٢) الاستغفار للمؤمنين:

- قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر:٧].
- قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣] والصلاة من الله معناها الثناء والرحمة، ومن الملائكة بمعنى الدعاء.

(٣) الخوف والخشية لله تعالى:

- قال تعالى: ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

(٤) الطاعة المطلقة لله تعالى في كل ما يأمرهم به:

- قال تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

❑ ثمرات الإيمان بالملائكة:

ثمرات الإيمان بالملائكة		
التأدب معهم والاستحياء منهم	الأنس بهم والطمأنينة	استشعار عظمة الله تعالى وكمال قدرته جل وعلا
البعد عما يؤذيهم	المسارعة في الخيرات	الاستقامة على دين الله

١- استشعار عظمة الله تعالى وكمال قدرته جل وعلا.

٢- الاستقامة على دين الله: لأن الكرام الكاتبين يكتبون عليه أعماله؛ قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

٣- الأنس بهم والطمأنينة: لأنهم يثبتونه ويدعون له ويحفظونه من أمر الله، ويبشرونه عند الموت، قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١] وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ . نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١].

٤- المسارعة في الخيرات: لأنه يعلم أن معه قرينًا يدعوه للخير ويحثه عليه، فعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وُكّل به قرينه من الجن، وقرينه

من الملائكة»[1] وفي أحاديث أخرى أن القرين يدعو للخير والتصديق بالحق، ولاشك أن في القرب من الملائكة إبعاد للشياطين.

٥- التأدب معهم والاستحياء منهم.

٦- البعد عما يؤذيهم: كالروائح الكريهة وفي الحديث «فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»[2].

من أعظم ما يؤذي الملائكة ارتكاب المعاصي؛ فإن الملائكة لا تقرب مكانا فيه تمثال أو صورة أو كلب.

٧- محبتهم وموالاتهم جميعًا: فإن الله تعالى جعل معاداة بعضهم كمعاداة كلهم قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ . مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٧، ٩٨].

نشاط

عدِّد صورًا من المخالفات الشرعية في الإيمان بالملائكة، وسببها:

م	وصف المخالفة	سببها من وجهة نظرك
١		
٢		
٣		

(١) أخرجه مسلم (ح٢٨١٤).

(٢) أخرجه مسلم (ح١٢٥٤).

قارن بين موقف أهل السنة والجماعة من الملائكة وموقف اليهود والنصارى:

أهل السنة والجماعة	اليهود	النصارى

* * *

الموضوع الرابع: الإيمان بالكتب

أرسل الله تعالى الرسل مبشرين ومنذرين، وكان من حكمته تعالى إنزال الكتب لتستمر الهداية بها بعد وفاة الأنبياء والرسل، وجعل تعالى التصديق بها من أركان الإيمان.

❑ معنى الإيمان بالكتب:

هو التصديق الجازم بأنها منزلة من عند الله تعالى على رسله فيها الهدى والنور للناس، ويتضمن الإيمان بها أربعة أمور:

- التصديق الجازم بأن الله تعالى أنزل كتبًا على رسله.
- التصديق الجازم بما علمنا اسمه؛ منها: التوراة والإنجيل والقرآن الكريم.
- التصديق بما ثبت عندنا مما تضمنته من أخبار مما جاء ذكره في القرآن الكريم، أو ثبت عن طريق السنة النبوية الصحيحة.
- العمل بما جاء في القرآن الكريم، وبما لم ينسخ من الكتب السابقة، مع الرضا والتسليم.

❑ الحكمة من إنزال الكتب:

إن إرسال الرسل وإنزال الكتب يدل على الأصل العظيم الذي لأجله خلق الله الجن والإنس ألا وهو عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، فإن البشر يحتاجون إلى من يدلهم على الله تعالى ويبين لهم أصول الدين وأحكامه إذا انطمست معالم الهدى وانحرفت الفطر؛ فإن طريق الهداية لا يعرف بالاجتهاد؛ فاقتضت حكمة الله تعالى ورحمته أن يرسل رسلاً منهم وينزل عليهم كتبًا ليبينوا للناس الحق ولتقوم عليهم الحجة قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٥].

❑ دليل الإيمان بالكتب:

أدلته من القرآن الكريم والسنة المطهرة كثيرة، منها:

أولاً: القرآن الكريم:

- قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦] وهذه الآية تدل على أن إنكار بعض الكتب كإنكارها كلها، بل إن إنكار بعض ما في الكتب كإنكار كلها.

- قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

- خاتمة سورة البقرة.

ثانيا: السنة المطهرة:

- حديث جبريل المشهور.

❑ الكتب التي أنزلها الله على رسله:

نؤمن بأن الله تعالى أنزل كتبًا كثيرةً لا نعلم عددها، ونؤمن بما عرفنا اسمه منها على التعيين، وهي خمسة: التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم عليه السلام، والقرآن الكريم.

- قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ . مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٣، ٤].

- قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

- قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى . صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩].

❑ تعرض الكتب السابقة للتحريف، وموقف المسلم منها:

أوكل الله تعالى حفظ كتبه السابقة للبشر فوقع فيها الخطأ والتحريف لعدة أسباب منها:

- أنه لم يتصل سندها بين الأنبياء وبين من كتبها عنهم: وهذا سبب في وقوع النسيان والخطأ

وضياع بعضها.

- أن منها ما ترجم من لغة إلى لغة أخرى.
- أن علماءهم لم يكتبوها بألفاظها وإنما بحسب ما فهموه منها؛ ومن ثمّ وقع بينها اختلاف كبير وتعارض وزيادة ونقص.
- دخول التحريف المتعمد: اتباعًا للهوى ولنيل شيء من حظوظ الدنيا فدخلتها عقائد وثنية تخالف عقيدة التوحيد التي دعا إليها الرسل عليهم الصلاة والسلام، وفيها طعن في الأنبياء وتنقص لله عز وجل يستحيل أن ينزل به الوحي، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

❑ ما اشتملت عليه الكتب السابقة:

اشتملت الكتب السابقة على ما يلي:

- الأخبار: أخبار الأمم السابقة.
- العقائد.
- التشريعات المتضمنة للحلال والحرام.

❑ واجب المسلم نحو ما اشتملت عليه الكتب السابقة:

- **الأخبار:**

- الأخبار التي وافقت ما جاء في الكتاب والسنة: نؤمن بما عرفنا صدقه.
- الأخبار التي لم يرد فيه شيء في ديننا: نتوقف فيه لأننا لا نعلم صدقها من كذبها.

- **التشريعات:**

- فشريعة الإسلام حاكمة عليها، وكل ما خالف الشريعة الإسلامية فهو منسوخ، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]؛ أي مؤتمنًا وشاهدًا على ما قبله من الكتب ومصدقًا لما فيها من الصحيح، ونافيًا لما وقع فيها

من تحريف وتبديل وتغيير، ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير، وإذا نزل عيسى عليه السلام في آخر الزمان فإنه يحكم بالكتاب والسنة لا بالإنجيل قال ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم. وفي رواية: فأمَّكم»[1] ومعناه كما قال ابن أبي ذئب- أحد رواة الحديث - فأمكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم ﷺ.

❑ القرآن الكريم:

وهو كلام الله تعالى تكلم به حقيقة، ونزل به الروح الأمين على نبينا مُحَمَّد ﷺ ليكون حجة على العالمين، وبرهانًا قاطعًا إلى يوم الدين، تحدى اللهُ الجنَّ والإنسَ أن يأتوا بمثله ثم تنزل إلى عشر سور مفتريات، ثم إلى سورة من مثله؛ فعجز عن ذلك كفار قريش وهم أهل اللسان والفصاحة مع حرصهم على تكذيبه ورده، فكان ذلك برهانا قاطعا على أنه تنزيل من حكيم حميد، قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

ومن خصائص القرآن الكريم أن الله تكفل بحفظه فلا يقع فيه تبديل أو تحريف، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وهو معجز في لغته وفصاحته وتشريعاته وتوجيهاته وأخباره، قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

❑ ويلزم من الإيمان بالقرآن الكريم:

- **التمسك به والقيام بحقه ظاهرًا وباطنًا:**

- قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥] وقال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].
- قال ﷺ: «والذي نفس مُحَمَّد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم

(١) أخرجه مسلم (ح٣٩٤).

يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»[1].

ولا يتحقق التمسك به إلا بأمور:

- حفظه وتلاوته والقيام به آناء الليل والنهار وتدبر آياته وإحلال حلاله، وتحريم حرامه والانقياد لأوامره، والاتعاظ بزواجره، والاعتبار بأمثاله، والاعتبار بقصصه، والعمل بمحكمه، والتسليم لمتشابهه، والوقوف عند حدوده، والذب عنه، والدعوة إلى ذلك على بصيرة.

❑ ثمرات الإيمان بالكتب:

- **كرامة البشر على الله تعالى إذ لم يتركهم هملاً تختطفهم الشياطين:**

- من رحمة الله تعالى بعباده أنه أنزل عليهم شرائع مختلفة تتناسب الزمان والمكان الذين نزلت فيه.
- أنزل الله تعالى الكتب لمصلحة البشر ليسعدوا بها في الدنيا والآخرة وإلا فإن الله غني عن العالمين.
- حاجة البشر إلى الرجوع للوحي والاهتداء به، وأن شقاء البشرية في بعدها عن كتاب ربها عز وجل، وبالإيمان به واتباعه يحصل النور والهدى.

* * *

(١) أخرجه مسلم (ح١٣٤).

وضح أهم ما يميز كل من: الأخبار، والعقائد، التشريعات، والمتضمنة في كل من القرآن الكريم والإنجيل المحرف، والتوراة المحرفة.

وجه المقارنة	القرآن الكريم	الإنجيل	التوراة
الأخبار			
العقائد			
التشريعات المتضمنة			

* * *

الموضوع الخامس: الإيمان بالرسل

ذَكر النَّبيُّ ﷺ فيما يروي عن ربِّه تبارك وتعالى: «إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم»(1)، وقد أقسم الشيطان أن يصرف بني الإنسان عن طاعة الرحمن، ويزين لهم الكفر والفسوق والعصيان، فدلّ الله البشر إليه وأرشدهم بأنبيائه ورسله ليخرجوهم من الظلمات إلى النور بإذنه.

❑ معنى الإيمان بالرسل:

التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولاً منهم يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فنؤمن بهم جميعًا، وأنهم مؤيدون بالحجج والبراهين الدالة على صدقهم، وأنهم بلغوا البلاغ المبين كما أمرهم ربهم، ولا يصحّ الإيمان بهم حتى نؤمن بجميعهم فإن الكفر ببعضهم كالكفر بجميعهم قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً . أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا . وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥٢].

❑ الفرق بين النبي والرسول:

أولاً: في اللغة:

- النبي لغة: مأخوذ من النبأ = الخبر، أو من النَّبْوَة = الشيء المرتفع، وذلك لأن النبي مُخْبِر عن الله تعالى، وهو أفضل قومه.
- الرسول لغة: المبعوث والموجَّه.

---

(١) أخرجه مسلم (ح٢٨٦٥).

- ثانيًا: في الاصطلاح:
- النبي في اصطلاحًا: من أوحي إليه، وبعث إلى قوم مؤمنين ليجدد لهم دينهم.
- الرسول اصطلاحًا: من أوحي إليه، وبعث إلى قوم كفار ليدعوهم إلى دين الله تعالى. وقيل: هو من أوحي إليه بشرع جديد.

فالنبي والرسول كلاهما مبعوث من الله تعالى إلى قومه، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢]، والرسول يدعو الكفار للإيمان، والنبي يدعو المؤمنين للعودة إلى ربهم وتصحيح الانحراف الذي يحصل للدين الذي جاء به الرسول.

❑ الدليل على وجوب الإيمان بالرسل:

الأدلة عليه كثيرة وترد غالبًا مقرونة بالأدلة على الإيمان بالكتب؛ لأن الكتب تنزل إما على نبي أو رسول.

❑ الرسالة اصطفاء واختيار من الله تعالى:

- قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥]. فالنبوة اصطفاء واجتباء من الله تعالى ليس للعبد فيها كسب، ولا تنال بمجاهدة أو مبالغة في الطاعة، بل هي نعمة محضة ينعم الله بها على بعض عباده قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾ [مريم: ٥٨]، واصطفاء الأنبياء والإنعام عليهم يقتضي أنهم أفضل البشر.

❑ عدد الأنبياء والرسل، وأولو العزم منهم:

مما يدلّ على كثرتهم:

- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].
- قول النبي ﷺ: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي»[(١)].

(١) أخرجه البخاري (ح٣٤٥٥).

وقد قص الله علينا من أخبار بعضهم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]، فيجب الإيمان بهم جميعًا وإن لم نعرف أكثرهم، ونؤمن بمن ذكرت أسماؤهم في القرآن هم: آدم، ونوح، وإدريس، وهود، وصالح، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، ولوط، وشعيب، ويونس، وموسى، وهارون، وإلياس، وزكريا، ويحيى، واليسع، وذو الكفل، وداود، وسليمان، وأيوب، والأسباط ـ وهم أبناء يعقوب عليهم السلام، وعيسى، ومحمد ﷺ وعليهم أجمعين، وورد في السنة ذكر غيرهم كشيث ويوشع بن نون عليهما الصلاة والسلام.

❑ تفاوت الأنبياء والرسل فيما بينهم:

والأنبياء والرسل متفاضلون فيما بينهم؛ قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وأفضلهم أولو العزم من الرسل الذين أمر الله نبيه محمدًا ﷺ أن يصبر كما صبروا، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧]، وفي قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

❑ اتفاق الرسل في دعوتهم إلى التوحيد مع اختلافهم في الشرائع:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦]، أي أنهم اتفقوا جميعًا على إفراد الله تعالى بالتوحيد والعبادة.

وأما الشرائع والفروض المتعبد بها فقد يفرض على هؤلاء من الصلاة والصوم ونحوها ما لا يفرض على الآخرين، ويحرم على هؤلاء ما يحل للآخرين، وقد يتفقون في العبادة مع الاختلاف في كيفيتها، وقد يحرم على قوم ما أحل لغيرهم مراعاة لحال كل أمة، قال عز وجل: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً

﴿وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [المائدة: ٤٨].

❑ خصائص الرسل العامة:

يتفق الرسل كلهم في أنهم بشر لكنهم صفوتهم وخيرتهم، يصيبهم ما يصيب البشر، وليس لهم شيء من خصائص الألوهية، وهم أوسط الناس أحسابًا، وأفضلهم أخلاقًا في كل صفة بشرية، وأعلم الناس بالله تعالى، ليس فيهم معيب في خُلُقِه أو خِلْقَته، وليس فيهم أنثى أو عبد، ويختصون عن سائر البشر بأمور منها:

- نزول الوحي عليهم.
- معصومون فيما يتعلق بالرسالة؛ فلا يكتمون شيئًا ولا يخطئون في تبليغ ما أمروا به، ولا ينسون شيئًا أمروا بتبليغه، ومعصومون من الوقوع في الكبائر.
- يخيرون عند الموت بين الدنيا والآخرة، فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة»**[(١)].
- لا تأكل الأرض أجسادهم، ففي حديث أوس بن أوس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«إن الله تبارك وتعالى حرم على الأرض أجساد الأنبياء»**[(٢)]، في قصة الإسراء ذكر النبي ﷺ أنه رأى موسى وعيسى وإبراهيم عليهم الصلاة والسلام كل منهم قائم يصلي[(٣)].
- مؤيدون بأنواع البراهين والبينات التي تثبت صدقهم، وتقوم بها الحجة على أقوامهم كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الحديد: ٢٥].

❑ ثمرة الإيمان بالرسل:

- نيل محبة الله تعالى.
- حصول العلم برحمة الله تعالى بعباده حيث أرسل إليهم رسلاً من أنفسهم يعرفونهم ويعرفون لغتهم.

---

(١) أخرجه البخاري (ح٤٥٦٨).

(٢) أخرجه أبو داود (ح١٠٤٧)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

(٣) أخرجه مسلم (ح٤٣٠).

- زيادة الإيمان من خلال التدبر في قصص المرسلين في القرآن الكريم، واليقين بأن العاقبة للمتقين.
- الاقتداء بالأنبياء والرسل؛ فهم الأسوة والقدوة لكونهم أكمل البشر، وأزكاها عن ربها عز وجل.

- نقاش حول عصمة الأنبياء والرسل عليهم السلام، فيما لا يتعلق بالرسالة.
- قارن بين المعجزة والكرامة في الجدول التالي:

المعجزة	الكرامة

* * *

سيد ولد آدم، وأفضل الرسل أجمعين، وخاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، ودينه خير الأديان وخاتمها ولا يقبل الله من أحد من هذه الأمة دينًا غيره، فنحمده تعالى أن جعلنا من أتباع خير ملة ورسول، ومن حق هذا الرسول ﷺ أن نتعرف عليه وعلى خصائصه وحقوقه.

❑ التعريف بمحمد ﷺ:

- اسمه: هو مُحَمَّد بن عبدالله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وأمه آمنة بنت وهب من بني زهرة.
- المولد: اتفق العلماء على أنه ولد ﷺ يوم الاثنين من عام الفيل، واختلفوا في تحديد التاريخ، والأكثرون على أنه لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول[1].
- نزول الوحي: لما بلغ أربعين سنة أنزل عليه الوحي، وأول ما نزل عليه من القرآن مطلع سورة القلم، ثم أمره الله بالتبليغ والإنذار بأول سورة المدثر.
- الدعوة بين مكة والمدينة: دعا النبي ﷺ إلى توحيد الله تعالى بمكة ثلاث عشرة سنة، ثم انتقل إلى المدينة حين انتشر الإسلام بين أهلها، ومنها انتشر الإسلام في سائر الجزيرة، وراسل الملوك يدعوهم إلى الإسلام، فما توفاه الله إلا بعد أن أكمل به الدين وأقام به الحجة وبلغ الرسالة، فجزاه الله عنا خير الجزاء وجمعنا به في دار كرامته.

(١) انظر: صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلي ص٤٧، وانظر: السيرة النبوية لابن كثير (١/٢٠٣).

❑ خصائص النبي ﷺ :

ويعني العلماء بالخصائص ما تفرد به النبي ﷺ عن سائر الأنبياء والرسل، وهذه الخصائص كثيرة، منها أنه:

١- خاتم النبيين فلا نبيّ بعده: قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

٢- سيد ولد آدم: وبهذا المعنى فسّر العلماء قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]وقال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفّع»[(١)]، فهو أفضلهم، وهذه الأفضلية لا تقتضي نقصًا في غيرهم، ولدفع هذا التوهم قال ﷺ: «ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متّى»[(٢)] أي إذا كان في ذلك ما يشعر بالانتقاص منه.

٣- شريعته أكمل الشرائع: وهي صالحة لكل زمان ومكان، وباقية إلى قيام الساعة، وهي ناسخة وحاكمة على الشرائع السابقة، وقد رضيها الله تعالى فلا يسخطها أبدًا كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

- وخصائص عديدة وردت في حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي: كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض طيبة طهورًا ومسجدًا؛ فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر، وأعطيت الشفاعة»[(٣)]، أي الشفاعة العظمى لأهل المحشر، وهي المقام المحمود، وزاد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أعطيت جوامع الكلم..

---

(١) أخرجه مسلم (ح٥٩٤٠).
(٢) أخرجه البخاري (ح٤٦٣١)، ومسلم (ح٦١٦٠).
(٣) أخرجه مسلم (ح٥٢١).

وختم بي النبيون»[١]، فدعوته عامّة لجميع البشر، بل وللثقلين جميعًا، ورفعت عن أمته الآصار والأغلال التي كانت على الذين من قبله، ودينه منصور مؤيد من الله تعالى، وهو خاتم النبيين لا نبي بعده.

- تأييده بمعجزة[٢] الوحي وهي القرآن الكريم؛ فإن معجزات الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام كانت وقتية، كما كانت للنبي ﷺ معجزات كثيرة وقعت وانتهت، لكن معجزته الكبرى والباقية هي القرآن الكريم، قال ﷺ: «ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحى الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»[٣] فالقرآن معجز في ألفاظه، ومعانيه فليس فيه اختلاف أو تعارض، ومعجز في تشريعاته، وما تضمنه من حقائق علمية بهرت العلماء، وفي كل زمان يقرؤه الناس يجدون فيه شفاء لصدورهم وصلاحًا لدنياهم وآخرتهم، بل ربما سمعه الكافر الذي لا يعرف العربية فيتأثر به ويدرك أنه يختلف عن سائر كلام العرب.

- لا يقبل الله من أحد دينًا سوى دينه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

---

(١) أخرجه مسلم (ح٥٢٣).

(٢) المعجزة: أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، يجريه الله تعالى على أيدي أنبيائه ورسله على وجه يعجز البشر أن يأتوا بمثله.

(٣) أخرجه مسلم (ح٣٨٥).

❑ حقوق النبي ﷺ:

١ – محبته ﷺ:

تقدم الكلام عن المحبة عند ذكر شروط لا إله إلا الله، وأمثلة حب الصحابة – رضي الله عنهم – للنبي ﷺ أكثر من أن تحصر، ووصفها علي بن أبي طالب رضي الله عنه بقوله: **«كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ»**[(١)].

ومن الأسباب الجالبة لمحبته ﷺ:

- الإكثار من ذكره ﷺ.

(١) انظر: الشفا ١/٥٦٨.

- استحضار محاسنه ﷺ.
- الثناء عليه ﷺ.
- ذكر فضائله ﷺ.

وهذا يحتاج إلى العناية بسيرته وأحواله وتتبع تفاصيل حياته وأخلاقه ودعوته وجهاده من ولادته إلى وفاته ﷺ.

٢ – تعظيمه وتوقيره ﷺ:

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا﴾ [الفتح: ٨، ٩]، فالتعزيز = النصر والتأييد، والتوقير = التبجيل والتعظيم وهما للنبي ﷺ، والتسبيح لله تعالى. وكان الصحابة ﷺ أشد الناس تعظيمًا وتوقيرًا للنبي ﷺ حتى رأى ذلك منهم الكفار وتعجبوا منه، فقد قدم عروة بن مسعود الثقفي ﷺ قبل إسلامه ليفاوض النبي ﷺ في صلح الحديبية، فلما رجع إلى المشركين وصف ما رآه، فقال: «والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكًا قطُّ يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب مُحَمَّد محمدًا، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدّون النظر إليه تعظيمًا له»[(١)].

٣– طاعته فيما أمر.

٤ – تصديقه فيما أخبر.

٥– ترك ما نهى عنه وزجر.

وقد تقدم بيان هذه الحقوق عند الكلام على شروط لا إله إلا الله.

٦– التأسي به ﷺ في الأقوال والأفعال والأحوال:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ

(١) أخرجه البخاري (ح٢٧٣١).

﴿كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

٥- نصرته ﷺ، ونصرة دينه، والذبّ عنه وعن دينه وسنته: وهذا من تعزيره الذي أمر الله تعالى به، وقد وصف الله تعالى المهاجرين بالصدق في الإيمان لأنهم أتوا بصفات منها نصرة النبي ﷺ فقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

❑ الغلو في النبي ﷺ:

تقدم أن الواجب على المسلمين في حق النبي ﷺ: تصديقه، ومحبته، وطاعته واتباع سنته والتأسي بها، ونصرة دينه، والدفاع عنه ﷺ، ومع عِظَم حقه ﷺ إلا أنه لا يجوز أن نتجاوز حدّ التعظيم والتوقير الذي أمرنا به إلى الغلو الذي أخبر النبي ﷺ الناس سيقعون فيه تحذيرًا منه، فالواجب التوسط بين الجفاء والغلو وبين الإفراط والتفريط فنستحضر الأمر بتعزيره وتوقيره واتباعه ومحبته، ونستحضر مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى﴾ [الأنعام:٥٠]، وقوله ﷺ: «لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه» قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟!»[(١)] ومن صور الغلو التي نهى عنها النبي ﷺ وحذّر منها:

١- اعتقاد أنه يعلم الغيب ﷺ:

قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى﴾ [الأنعام: ٥٠].

قالت عائشة - رضي الله عنها -: «ثلاث من حدثكهن فقد كذب»، وذكرت من ذلك «ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب». ثم قرأت: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

(١) أخرجه البخاري (ح٣٤٥٦)، ومسلم (ح٢٦٦٩).

[لقمان: ٣٤]»[(١)].

وروت الربيع بنت معوذ بن عفراء ﵂ أن النبي ﷺ سمع يوم زفافها جارية تقول: وفينا نبي يعلم ما في غد فقال: «دعي هذه، وقولي بالذي كنت تقولين»[(٢)]، فمعرفة ما في الغد من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، لذا أمر النبي ﷺ الجارية بترك قوله.

٢- الغلو في مدحه ﷺ:

يشرع الثناء على النبي ﷺ ومدحه بما هو أهل له، فإنه لم ينه الشعراء في وقته عن مديحهم بل كان يستمع إليه ويقره، وقد أنشد شعراء الصحابة - رضوان الله عليهم - العديد من القصائد بعد موته، وأثنوا عليه بما هو أهله. والذي يُنهى عنه المبالغة في الثناء والغلو، ومن ذلك التشبه بالنصارى ففي الحديث: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله»[(٣)].

والإطراء: مجاوزة الحد في المدح، والكذب فيه.

عن أنس ﵁ أنَّ رجُلًا قال للنَّبيِّ ﷺ: يا خيرَنا وابنَ خيرِنا ويا سيِّدَنا وابنَ سيِّدِنا. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «يا أيُّها النَّاسُ قولوا بقولِكم، ولا يَستفِزَّنَّكم الشَّيطانُ أنا عبدُ اللهِ ورسولُه»[(٤)].

وعن مطرف قال: قال أبي انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا. فقال: «السيد الله تبارك وتعالى». قلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً. فقال: «قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان»[(٥)].

٣- الغلو في قبره ﷺ:

حذّر النبي ﷺ أمته من الغلو في قبره، وتجاوز القدر المشروع، في عدة مناسبات وبأساليب متنوعة؛ منها:

- أنه عدّ الغلو من عمل اليهود والنصارى، فعن جندب بن عبدالله ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل

---

(١) أخرجه البخاري (ح٤٥٧٤)، ومسلم (ح٢٥٩).
(٢) أخرجه البخاري (ح٥١٤٧).
(٣) أخرجه البخاري (ح٣٤٤٥).
(٤) أخرجه ابن حبان (ح٦٢٤٠)، وقال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان: إسناده صحيح على شرط مسلم.
(٥) أخرجه أبو داود (ح٤٨٠٦)، وصحيح الألباني في صحيح أبي داود.

أن يموت بخمس وهو يقول: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلاً كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»[(١)].

- دعاء الله تعالى أن لا يجعل قبره وثنًا يعبد من دون الله، قال ﷺ: «اللهمَّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ الله على قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»[(٢)].

- أنه نهى أن يُتخذَ قبره مزارًا يعتاد الناس زيارته في أزمنة محددة، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، ولا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا علي، فإن صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»[(٣)].

❑ ذم الجفاء مع النبي ﷺ:

وكما أنه لا يجوز الغلو في النبي ﷺ فإنه لا يجوز الجفاء عنه ﷺ: ومن صور الجفاء مع النبي ﷺ:

- الرغبة عن سنته والاهتداء بهديه ﷺ: ومن الرغبة عن سنته التهاون في فعل المستحبات وترك المكروهات.
- رد أحاديثه الثابتة أو معارضتها بالعقل والهوى.
- التقصير في معرفة أحواله وأخلاقه، وقراءة سيرته: وينتج عن هذا ترك التأسي والاقتداء به، وفي المقابل تقليد غيره من آحاد الناس من المسلمين أو غيرهم.
- ذكره باسمه مجردًا لقوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

---

(١) أخرجه مسلم (ح٥٣٢).

(٢) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (ح١١٨١٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (ح٧٥٤٤)، وصححه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح (ح٧١٥).

(٣) أخرجه أبو داود (ح٢٠٤٢)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

- ترك الصلاة عليه عند ذكره: ففي حديث علي بن أبي طالب ﷺ مرفوعًا: «البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل عليّ»[1]، وفي حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليّ»[2].
- رفع الصوت عنده حيا وفي مسجده بعد موته ﷺ: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢].
- ازدراء المقتدين بسنته والمتبعين لهديه في مظهرهم وسلوكهم: لأن هذا الازدراء يعود إلى هديه وسنته ﷺ.

❑ حقوق آل النبي ﷺ، وأزواجه، وصحابته - رضي الله عنهم -:

١- نعتقد أن أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين، وأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة، وأنهن مبرءات من كل سوء، وأفضلهن:

- خديجة بنت خويلد ﵂ أم أولاده، وأول من آمن به ونصره.
- عائشة الصديقة بنت الصديق ﵂ التي قال فيها النبي ﷺ: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[3].

٢- يجب على كل مسلم أن يحب آل النبي ﷺ، وبهم أوصى النبي ﷺ يوم غدير خم حيث قال: «أذكركم الله في أهل بيتي»[4]، ومحبتهم من محبة النبي ﷺ، ويجب إكرامهم والصبر عليهم والدعاء لهم، ومما يدل على فضلهم قرن الصلاة عليهم بالصلاة على النبي ﷺ في الصلوات الإبراهيمية، وعلى هذا سار صحابة النبي ﷺ فقد قال أبو بكر الصديق ﷺ: «والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي»[5].

---

(١) أخرجه الترمذي (ح٣٥٤٦)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

(٢) أخرجه الترمذي (ح٣٥٤٥)، وقال الألباني في صحيح الترمذي: حسن صحيح.

(٣) أخرجه البخاري (ح٣٧٦٩)، ومسلم (ح٦٢٩٩).

(٤) أخرجه مسلم (ح٢٤٠٨).

(٥) أخرجه البخاري (ح٤٢٤١)، ومسلم (ح٤٥٨٠).

❑ سبب فضلهم - رضي الله عنهم - :

١- قرابتهم من النبي ﷺ.

٢- ووصيته ﷺ بهم.

٣- صحبتهم للنبي ﷺ: فمنهم من صحب النبي ﷺ وكان من السابقين، ومنهم من جاء بعد قرن الصحابة - ﷺ - إلى يوم الدين.

❑ حكم الغلو في آل بيت النبي ﷺ :

ما قيل في فضل النبي ﷺ يقال في آل البيت من أنه لا يجوز الغلو فيهم ولا الجفاء عنهم، وهم بشر يقع منهم ما يقع من غيرهم من الذنوب، وفيهم الصالحون وغير ذلك، وقربهم من النبي ﷺ منّة من الله تعالى لا كسب لهم فيها ولا اختيار فلا يؤجرون عليها كما لا يأثم غيرهم في عدم قرابته من النبي ﷺ، ولا تعني استغناؤهم عن العمل فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**»(١)، ولذا ذكر العلماء أن لتولي آل البيت شرطين:

١- الإسلام.

٢- متابعة هدي النبي ﷺ متبعين لسنته.

فالكافر لا يجوز توليه، ومن خالف سنة النبي ﷺ فليس وليًا له، وفي الحديث: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ**»(٢)، وردّ بمعنى مردود أي العامل والعمل جميعًا، فالعمل مردود غير مقبول، والفاعل يُنكر عليه عمله ويرد عليه.

وقد يوجد من غير آل النبي ﷺ من هو أفضل من بعضهم؛ فإن أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ أبو بكر ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وليسا من آل البيت، وأهل بدر، وأهل بيعة الرضوان أفضل ممن لم يشهدهما من آل البيت وغيرهم، والقاعدة العامة الحاكمة على الناس قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

---

(١) أخرجه مسلم (ح٦٨٥٣).

(٢)أخرجه مسلم (ح١٧١٨).

❑ صحابة النبي ﷺ - رضي الله عنهم -:

تعريف الصحابي:

من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به، ومات على ذلك. وهم كثير فقد شهد حجة الوداع مع النبي ﷺ أكثر من مئة ألف جاؤوا من أنحاء الجزيرة ليشهدوا الحج مع النبي ﷺ وكلهم رآه وسمعه فهم صحابة.

مكان الصحابة:

الصحابة كلهم عدول، أثنى الله تعالى عليهم في كتابه فقال: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨] وأصحاب الشجرة كانوا ألفًا وأربعمئة، وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]، ونهى النبي ﷺ عن سبهم فقال: «لا تسبوا أصحابي؛ فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه»(١)؛ أي أن أحدهم إذا تصدق ملء كفيه أو كفه من طعام ونحوه كان أفضل عند الله من إنفاق من بعدهم مثل جبل أحد من ذهب، وهذا الفضل لا يدركه أحد ممن جاء بعدهم لأن الصحبة انتهت بوفاة النبي ﷺ، وهذا الفضل الذي حازوه بسبب اجتماع أسباب منها قوة إيمانهم ورسوخه في قلوبهم، وصحبتهم للنبي ﷺ، ونصرتهم بأنفسهم وأموالهم، وجهادهم في إقامة الدين وبذل النفس والنفيس، ومجاهدة الكفار، وهذه الفضائل لا يمكن أن تجتمع في غيرهم ولا أن يلحقهم فيها أحد بعدهم.

وقد ذكر الله تعالى أصناف المسلمين في سورة الحشر فذكر المهاجرين ووصفهم بأحسن الأوصاف وأجملها، ثم ذكر الأنصار ومحبتهم للمهاجرين وإيثارهم، ثم ذكر من جاء بعدهم ووصفهم بقوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، فمن كفرهم أو تنقصهم أو سبهم جميعهم أو أكثرهم أو من تواترت النصوص بفضله منهم، فليس من جماعة المسلمين الموصوفين في

(١) أخرجه مسلم (ح٦٤٨٨).

هذه الآية، ومن طعن فيهم فإنما يطعن في أصل الدين؛ لأن الدين إنما وصلنا من طريقهم؛ فإذا كانوا مجروحين غير عدول فما وصلنا عن طريقهم من الدين فمشكوك فيه، والقدح فيهم قدح في النبي ﷺ؛ فإنك لو سألت كل أمة من الأمم: من أفضلها بعد نبيها لقالوا أصحابه وحواريوه، ومن يقدح فيهم يقول: إن شر هذه الأمة أصحاب نبينا ﷺ، بل إن القدح فيهم قدح في علم الله تعالى فكيف يزكيهم ويعدلهم ويثني عليهم وهو يعلم أنهم كانوا على ضلال أو سيضلون بعد وفاة النبي ﷺ؟!

ثم إن هذه الفضائل ثابتة لهم مع علم الله تعالى أنهم غير معصومين عن المعصية والخطأ في الاجتهاد، فأما الخطأ الاجتهادي فهم مترددون فيه بين الأجر والأجرين، وأما المعصية إن وقعت من بعضهم فإنها لا يبطل هذه الفضائل، ولا تزيل وصف العدالة؛ فإن لهم من الإيمان والحسنات السابقة واللاحقة ما يكفر الله به عنهم الزلل.

عدد صورًا من المغالاة في النبي ﷺ، وأخري لمجافاته ﷺ.

صور للمغالاة في النبي ﷺ	صور للمجافات النبي ﷺ

اذكر عددًا من أصحاب النبيﷺ مع ذكر ما ورد في فضل كل منهم.

م	اسم الصحابي	فضله
١		
٢		
٣		
٤		
٥		

* * *

الموضوع السابع: الإيمان باليوم الآخر

جعل الله الدنيا دار اختبار وعمل، فأهل السعادة يعبدون الله ويرجون الثواب، وهناك من فرط وأسرف على نفسه بالمعاصي، كما أن في الحياة الدنيا أناس وقع منهم الظلم والقتل والعدوان، وفي المقابل هناك من عانى من الاستضعاف والهوان، وكان من عدل الله ورحمته أن جعل دارًا بعد الدنيا يكافئ فيها المحسن وينتصر للمظلوم، وينزل العقاب بالظالم المسيء، تلك الدار الآخرة، حيث يكون زمن الثواب والعقاب وينتهي زمن العمل والاختبار.

❑ معنى الإيمان باليوم الآخر:

التصديق الجازم بأن الساعة آتية لا ريب فيها، وبما ثبت في الكتاب والسنة مما يكون بعد الموت في حياة البرزخ، وأحوال يوم القيامة، والبعث، والحشر، والحساب، والميزان، والصراط، وغير ذلك ثم دخول الجنة أو النار.

وقد ذكر الله تعالى الإيمان باليوم الآخر مجملاً في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]، وفي حديث جبريل عليه السلام، وورد ذكر ما يكون في الآخرة في آيات وأحاديث كثيرة، ابتداء بأشراط الساعة وهي علاماتها التي تسبق وقوعها إلى دخول أهل الجنةِ الجنةَ ودخول أهل النارِ النارَ، وبينهما أحداث عظام يشيب لها الولدان نأتي على ذكر شيء منها.

❑ أولاً: أشراط الساعة:

استأثر الله تعالى بعلم وقت قيام الساعة قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]، ووضع لها علامات تدل على قربها، وهي علامات صغرى وكبرى؛ فأما الصغرى

فعلامات تدل على اقترابها مع وجود زمان بين العلامة وقيام الساعة، وهي كثيرة، وأما الكبرى فتكون متتابعة ويتصل بها قيام الساعة، وفيما يلي ذكر لبعض هذه العلامات:

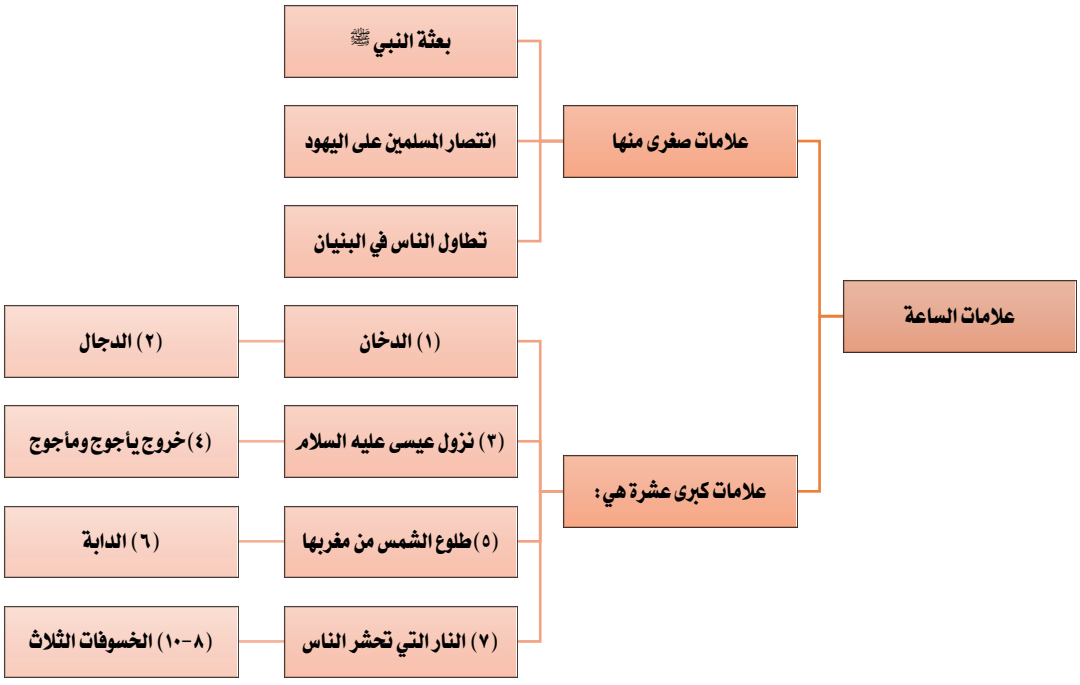

علامات الساعة الصغرى:

وهي كثيرة ورد ذكر بعضها في حديث جبريل عليه السلام؛ منها:

- بعثة النبي ﷺ لحديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**» وضم السبابة والوسطى[(١)].

ومنها ما ورد ذكره في حديث جبريل عليه السلام.

- انتصار المسلمين على اليهود، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله**»[(٢)].

علامات الساعة الكبرى:

وهي عشر علامات وردت في حديث حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه، قال: اطلع النبي ﷺ علينا

(١) أخرجه البخاري (ح٧٤٠٨)، ومسلم (ح٦٥٠٤).
(٢) أخرجه البخاري (ح٢٩٢٦)، ومسلم (ح٢٩٢٢).

ونحن نتذاكر، فقال: «ما تذكرون»؟ قالوا: نذكر الساعة. قال: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات. فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاث خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»[1]، وهذه الآيات متقاربة أو متعاقبة في حصولها بحيث تكون كالعِقْد إذا انقطع تتابعت حباته، وهذه العلامات هي:

(١) **الدخان**: وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ . يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان: ١٠،١١].

(٢) **الدجال**: يخرج أيام المهدي من أصبهان، ويتبعه سبعون ألفًا من يهودها. يدعي الألوهية ولا يدع مدينة أو قرية إلا دخلها إلا مكة والمدينة؛ فإن الملائكة تمنعه من دخولها، ولعظم فتنته وعمومها حذر منه كل نبي أمته، ويأتيه الرجل وهو مكذب به فلا يزال به حتى يتبعه لما يرى معه من الفتن، ويأتي القرية فيتبعونه، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم أموالهم أحسن ما كانت، ويأتي القرية فيكذبونه، فينصرف عنهم وليس بأيديهم شيء من أموالهم، ومعه ماء ونار، فناره ماء بارد، وماؤه نار.

ومن علامات كذبه أنه يدعي الألوهية ومعلوم أنه لن يرى أحد ربه حتى يموت، وهو أعور إحدى عينيه كالعنبة طافية وربنا ليس بأعور، ومكتوب بين عينيه كافر أو (ك ف ر) يقرؤها كل مسلم قارئًا كان أو غير قارئ.

ولعظم فتنته أمر النبي ﷺ بالتعوذ منها في كل صلاة قبل السلام فقال ﷺ: «إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال»[2]، وعلى من سمع بخروجه أن يفرّ منه، فإذا أدركه قرأ عليه العشر الآيات الأول من سورة الكهف لحديث النواس بن سمعان رضي الله عنه مرفوعًا: «من

(١) أخرجه مسلم (ح٧٢٨٥).
(٢) أخرجه مسلم (ح٥٨٨).

أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف»[1]، وفي حديث أبي الدرداء ﷺ: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال»[2].

(٣) **نزول عيسى ابن مريم** عليه السلام: قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]، وقد تواترت الأحاديث بنزوله آخر الزمان، وجاء فيها أنه ينزل والناس يُعِدُّون لقتال الدجال ويصفون الصفوف، وقد حضرت صلاة العصر، فيقدِّم إمامَهم فيصلي بهم، ويقتل الدجال عند باب (لُدّ) من قرى بيت المقدس، ويكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ولا يقبل إلا الإسلام، ويبقى في الناس أربعين سنة ثم يتوفى، ويصلي عليه المسلمون.

(٤) **يأجوج ومأجوج**: وهما أمتان من بني آدم مفسدتان في الأرض ذكرهما الله في سورة الكهف، ومما ثبت في الأحاديث من أخبارهم أنهم يخرجون أيام عيسى ابن مريم عليه السلام بعد قتل الدجال، فيوحي الله إليه أن ينحاز بمن معه إلى الطور؛ لأنه لا قبل لأحد بهؤلاء المفسدين، ويشتد أمرهم فيدعو عليهم عيسى عليه السلام، فيسلط الله عليهم دودًا في أعناقهم فيهلكون، ثم يطهر الأرض من نتنهم، وتخرج الأرض بركاتها ويكثر الخير.

(٥) **طلوع الشمس من مغربها**: فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون، فذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا»[3]، وذلك قول الله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]

فطلوع الشمس من مغربها هو المقصود بـ(بعض آيات ربك).

(٦) **الدابة**: وقد ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ

---

(١) أخرجه مسلم (ح٢٩٣٧).
(٢) أخرجه مسلم (ح١٨٨٣).
(٣) أخرجه البخاري (ح٦٥٠٦)، ومسلم (ح١٥٧).

﴿تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢]، فهي دابة تنطق وتتكلم، وتميز بين المؤمن والكافر فتخطم الكافر على أنفه، وتجلو وجه المؤمن وتبيضه.

وخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها متقاربان كما في حديث عبدالله بن عمرو ﷺ مرفوعًا: «**إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريب**»(١)، وهذه الأولية نسبية لا أنها أول الآيات مطلقًا فهي أول الآيات الدالة على قيام الساعة ثم تكون النار التي تسوق الناس إلى أرض المحشر.

(٧) **النار التي تحشر الناس**: وهي نار تخرج من أرض اليمن من قعر عدن تسوق الناس إلى أرض المحشر – الشام –، فمن تأخر منهم أكلته النار، وهذا الحشر في الدنيا، وهو غير الحشر الذي يكون بعد البعث من القبور.

(٨) **الخسوفات الثلاث**: ومعنى الخسف أن يذهب المكان المخسوف به ويغيب في الأرض، وتكون هذه الخسوفات عقوبة وتذكرة عند كثرة الفساد وانتشاره بين الناس.

❑ ثانيًا: الحياة البرزخية:

الإنسان يتقلب بين ثلاثة أنواع من الحياة:

-الحياة الدنيا: وهي أقصرها وتنتهي بالموت.

- حياة البرزخ: وهي حياة حقيقية تختلف عن حياة الدنيا وتنتهي بالبعث، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، والقبر في حياة البرزخ إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار.

- الدار الآخرة: وهي حياة الخلود إما في الجنة وإما في النار.

قال النبي ﷺ: «**إن القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (ح٢٩٤١).

(٢) أخرجه الترمذي (ح٢٣٠٨)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي.

وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم. قال: يأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ قال: فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله. قال: فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة. قال: فيراهما جميعًا»[(١)].

وعن عبد الله بن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار. يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»[(٢)].

وعلى المسلم أن يستعيذ بالله من عذاب القبر، ففي الحديث عن زيد بن ثابت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع» وفيه: ثم قال: «تعوذوا بالله من عذاب القبر»[(٣)]. وكان النبي ﷺ يقول في صلاته قبل السلام: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم»[(٤)].

وكما أن الطاعات سبب لنعيم القبر فإن من الذنوب ما يكون سببًا لعذاب القبر كالنميمة، وترك التنزه من البول، والكذب، والزنا، وأكل الربا، وهجر القرآن.

❑ ثالثًا: من مشاهد اليوم الآخر:

١- النفخ في الصور:

وهما نفختان[(٥)] ينفخهما إسرافيل عليه السلام في الصور - وهو البوق -: نفخة الصعق وتسمى الصيحة والراجفة، ونفخة البعث، فأما نفخة الصعق فلا يسمعها أحد إلا صعق إلا من شاء الله، قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ

(١) أخرجه مسلم (ح٧٢١٦).
(٢) أخرجه مسلم (ح٧٢١١).
(٣) أخرجه مسلم (ح٧٢١٣).
(٤) أخرجه البخاري (ح٨٣٢).
(٥) وقيل النفخات ثلاث لما في حديث الصور: نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين.

﴿أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] وتكون في يوم جمعة لما رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أهبط، وفيه تيب عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا وهي مسيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقًا من الساعة إلا الجن والإنس»(١).

وعن عبدالله بن عمرو ﷺ مرفوعًا: «ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا. قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله. قال: فيَصْعَق ويَصْعَق الناس، ثم يرسل الله أو قال: ينزل الله مطرًا كأنه الطل أو قال الظل فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون»(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون، ثم ينزل من السماء ماء، فينبتون كما ينبت البقل، وليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظمًا واحدًا، وهو عجب الذنب منه يركب الخلق يوم القيامة»(٣).

نفخة البعث: وهو النشور: وهو إحياء الموتى بعد النفخة الثانية، فيخرج الناس من قبورهم حفاة عراة غرلاً – أي غير مختونين –، وأول من تنشق عنه الأرض نبينا مُحَمَّد ﷺ فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفَّع»(٤)، و«إن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل»(٥).

الأدلة على أن البعث حق:

عجب المشركون من البعث بعد الموت، ونفوا قدرة الله على الإعادة وهو خلقهم أول مرة، والأدلة على البعث كثيرة يراها الملحدون دون أن يعتبروا بها، فنبه الله تعالى إليها، ودعا إلى التفكر

(١) أخرجه أبو داود (ح١٠٤٦)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.
(٢) أخرجه مسلم (ح٢٩٤٠).
(٣) أخرجه البخاري (ح٤٩٣٥)، وأخرجه مسلم (ح٧٤١٤).
(٤) أخرجه مسلم (ح٥٩٤٠).
(٥) أخرجه البخاري (ح٦٥٢٦).

فيها والاعتبار، ومن ذلك:

١- **الاستدلال بالنشأة الأولى**، فهذا الإنسان حي موجود؛ فما الذي يمنع إحياءه بعد موته؟! وما الفرق بين النشأتين؟! قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا . أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٦٦، ٦٧].

٢- **الاستدلال بخلق السماوات والأرض**: فالقادر على خلق السماوات والأرض على عظمهما وإتقانهما واتساعهما قادر على خلق الإنسان وإحيائه بعد موته، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣].

٣- **الاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها**: فالأرض والإنسان مخلوقان وكما أن الأرض تحيا بعد موتها فكذلك الإنسان، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧].

٤- **الاستدلال بإحياء الموتى**: فقد أجرى الله تعالى إحياء الموتى على يد أنبيائه كما في قصة بقرة بني إسرائيل قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٧٣]، وإحياء الطير لإبراهيم عليه السلام، والرجل الذي مرّ على قرية بائدة فأماته الله مئة عام ثم بعثه، وأصحاب الكهف الذي أمدّ الله في نومهم ثم أحياهم ليعتبر بهم الناس ثم أماتهم.

٥- **حكمة الله تقتضي بعث العباد للجزاء والحساب**: قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧ ، ٢٨].

فلو لم يكن بعد الدنيا دارٌ آخرة وجزاء وحساب؛ فما الحكمة من وجود الحياة الدنيا؟! وفي عدد من الآيات يذكر الله تعالى أنه خلق السماوات والأرض بالحق فلم يخلقهما عبثًا أو باطلاً لغير حكمة، فإذا كانت نهايتهما إلى لا شيء فما الحكمة من خلقهما إذن؟! هل من الحكمة أن يوجد المسلم والكافر.. الظالم والمظلوم.. المصلح والمفسد، ثم يموت هذا ويموت هذا ولا فرق؟!

إن المتفكّر في أحوال الناس يأبى أن يصدق هذه الظنون الجاهلية مع ما يشاهده من الإتقان والآيات العجيبة الدالة على حكمة الخالق وعلمه وعدله. وهذا المعنى قرّره الله تعالى في قوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية:٢١]، وفي قوله: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ . مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦].

٢- الحشر:

بعد البعث يخرج الناس من قبورهم سراعًا يتبعون داعي ربهم خاشعة أبصارهم لا يُسْمَع إلا صوتُ أقدامهم، والحشر يوم القيامة عام للإنس والجن والبهائم، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ويكون الحشر وقد تبدلت الأرض غير الأرض، كما قال رسول الله ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة نقي»[(١)]؛ أي نقية لا شائبة فيها. وقال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا . فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا . لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا . يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٥ – ١٠٨].

من أحوال موقف يوم القيامة:

(١) طوله: قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ . فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً . إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا . وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٤ – ٧]، ولطول ذلك اليوم وشدته يظن الناس

(١) أخرجه البخاري (ح٦٥٢١).

أنهم ما لبثوا في الحياة إلا يومًا أو بعض يوم، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ . وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٥، ٥٦].

(٢) تغير الأرض والسماوات: فتزلزل الأرض، وتنسف الجبال وتدك وتكون ككثبان الرمل وكالصوف، وتسير سير السحاب، وتفجر البحار وتسجر نارًا، وتسوى الأرض فلا ارتفاع فيها ولا انخفاض، وتتحرك السماء وتتشقق، وتكون ألوانًا مختلفة، والملائكة على أطرافها، ويذهب ضوء الشمس، وتتناثر النجوم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، وقد وصف الله تعالى هذا التبديل في عدة سور كسورة الواقعة والحاقة والمعارج والتكوير والانفطار.

(٣) الرعب والفزع: فيكون حال الناس كحال السكران من هول ما يرى قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج:١، ٢] وتشخص الأبصار، وتبلغ القلوب الحناجر، وتتقلب القلوب والأبصار، ولا تعقل شيئًا، ويشيب الصغير من هول ما يرى.

(٤) انقطاع الأنساب، وتمني الخلاص ببذل كل غالٍ: قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ . يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ . وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ . لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٣ - ٣٧]، بل يود المجرم لو يفتدي بهم من عذاب الله ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ . وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ . وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ [المعارج:١١-١٤] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ [يونس: ٥٤].

(٥) دنو الشمس وقيام الناس في عَرَقِهم بحسب أعمالهم:

ويكون حال الناس كما وصفهم النبي ﷺ بقوله: «تُدْنَى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون

منه كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حَقْوَيه، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا»[(١)] وأشار النبي ﷺ بيده إلى فيه، وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعًا، ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم»[(٢)].

ويُظِلُّ الله تعالى سبعة أصناف من الناس في ذلك اليوم كما في الحديث: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»[(٣)].

من أحوال الناس الخاصة في ذلك اليوم:

تختلف أحوال الناس في ذلك اليوم العصيب، ويكون لبعض أصحاب المعاصي أحوال خاصة وردت بها الأحاديث، ومن ذلك:

- حال المشركين: عن أنس بن مالك ﷺ أن رجلاً قال: يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه قال: «أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرًا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟!»[(٤)].

- حال مانعي الزكاة: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي فيها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت عليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار» ثم ذكر ﷺ صاحب الإبل وصاحب البقر

(١) أخرجه مسلم (ح٧٢٠٦).

(٢) أخرجه البخاري (ح٦٥٣٢).

(٣) أخرجه البخاري (ح٦٦٠)، ومسلم (ح١٠٣١).

(٤) أخرجه البخاري (ح٦٥٢٣).

والغنم[١].

- حال المتكبرين: قال ﷺ: «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر[٢] في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان»[٣].

- حال أهل الغدر: عن عبدالله بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء، فقيل: هذه غدرة فلان ابن فلان»[٤].

- حال ذي الوجهين: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تجد من شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه»[٥].

- وأصناف يغضب الله تعالى عليهم غضبًا شديدًا فلا ينظر إليهم ولا يكلمهم ولهم عذاب أليم منهم: «المنّان الذي لا يعطي شيئًا إلا منّه، والمنفِّق سلعته بالحلف الفاجر، والمسبل إزاره»[٦]، و«شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر»[٧].

الشفاعة العظمى للنبي ﷺ:

ثم تكون الشفاعة العظمى للنبي ﷺ، وذلك حين يشتد الكرب بالناس في عرصات القيامة ويطلبون فصل القضاء إلى الجنة أو إلى النار، فيشفع النبي ﷺ لفصل القضاء وهو المقام المحمود الذي يحمده عليه الأولون والآخرون ويدخل في شفاعته آدم عليه السلام ومن دونه من الناس، وبها يظهر فضله ﷺ على العالمين، عن أبي هريرة ﷺ قال كنا مع النبي ﷺ في دعوة فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة وقال: «أنا سيد القوم يوم القيامة هل تدرون بمن يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي وتدنو منهم الشمس فيقول بعض الناس: ألا ترون إلى

---

(١) أخرجه مسلم (ح٩٧٨).
(٢) الذر: النمل الصغار.
(٣) أخرجه الترمذي (ح٢٤٩٢)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي.
(٤) أخرجه مسلم (ح١٧٣٥).
(٥) أخرجه البخاري (ح٦٠٥٨)، ومسلم (ح٦٦٣٢).
(٦) أخرجه مسلم (ح٢٩٤).
(٧) أخرجه مسلم (ح٢٩٦).

ما أنتم فيه إلى ما بلغكم ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس: أبوكم آدم فيأتونه، فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا فيقول: ربي غضب غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيته نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله عبدًا شكورًا أما ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما بلغنا ألا تشفع لنا إلى ربك فيقول: ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي ائتوا النبي ﷺ فيأتوني فأسجد تحت العرش فيقال: يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفع وسل تعطه»(١).

٣- العرض والحساب:

أي حساب الله تعالى لعباده، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ . فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٦ - ٨]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨]، وتشهد الأعضاء على أصحابها قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٤،٢٥]، وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

وقال ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة ليس بين الله وبينه ترجمان، ثم ينظر فلا يرى شيئًا قدامه، ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار، فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة»(٢).

وقال ﷺ: «من حوسب يوم القيامة عذب» فقالت عائشة رضي الله عنها: أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟ فقال: «ليس ذاك الحساب، إنما ذاك العرض، من نوقش الحساب

(١) أخرجه البخاري (ح٣٣٤٠).
(٢) أخرجه البخاري (ح٦٥٣٩).

يوم القيامة عذب»[١].

وعن ابن عمر ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه، فيقول: عملت كذا وكذا؟ ويقول: عملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم. فيقرره، ثم يقول: إني سترت عليك في الدنيا، فأنا أغفرها لك اليوم»[٢].

وأما الكافر فـ «يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبًا أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم. فيقال له: قد كنتَ سُئِلْتَ ما هو أيسر من ذلك»[٣]، وفي رواية: «فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم، أن لا تشرك بي فأبيت إلا الشرك»[٤]، ومن المؤمنين سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب[٥].

وأول من يحاسب ثلاثة نفر: رجل تعلم العلم وقرأ القرآن ليقال عالم وقارئ، ورجل قاتل ليقال جريء، ورجل أنفق في سبيل الله ليقال جواد[٦]. ويكون القصاص بين العباد، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلل منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»[٧]، وعنه أن النبي ﷺ قال: «أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذه من حسناته، وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذت من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار»[٨]، فيدخل النار على قدر معاصيه، لكنه لا يخلّد فيها لأنه مات على الإيمان، كما

(١) أخرجه البخاري (ح٦٥٣٧)، ومسلم (ح٢٨٧٦).
(٢) أخرجه البخاري (ح٦٠٧٠).
(٣) أخرجه البخاري (ح٦٥٣٨).
(٤) أخرجه البخاري (ح٣٣٣٤).
(٥) أخرجه البخاري (ح٦٥٤١).
(٦) أخرجه مسلم (ح٤٩٢٣).
(٧) أخرجه البخاري (ح٢٤٤٩).
(٨) أخرجه مسلم (ح٢٥٨١).

يكون القصاص بين البهائم أيضًا، فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»(١)، وأول ما يقضي فيه بين الناس الدماء(٢).

٤- نشر الصحف:

فأما المؤمن فيأخذ كتابه من أمامه بيمينه ويرفعه ويعلنه مستبشرًا به وينقلب إلى أهله مسرورا، وأما الكافر فيأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره مخفيا له كئيبًا يدعو على نفسه بالويل، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [الإسراء: ١٢].

٥- الميزان:

بعد العرض والحساب يكون الميزان؛ والذي يوزن الأعمال والصحائف والعاملون أنفسهم، وتتفاوت أوزان الأعمال، ومن أعظم ما يثقل الميزان: كلمة التوحيد المستوفية لشروطها، وحسن الخُلُق، وقول سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

فإذا انتهى العرض والحساب، ووزنت الأعمال؛ انقسم الناس إلى فريقين؛ فريق في الجنة وفريق في السعير، ومروا جميعًا على الصراط وهو جسر على متن جهنم.

قال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨، ٩]، وقال ﷺ: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة» وقال: اقرؤوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥](٣).

٦- الحوض:

وهو الكوثر الذي أعطيه النبي ﷺ، ترده أمته يوم القيامة، ويشرب منه المؤمنون المتبعون، ويمنع منه من خالف سنته، والأظهر أن الورود على الحوض يكون قبل المرور على الصراط، والله أعلم.

عن سهل بن سعد الساعدي ﷺ أن النبي ﷺ قال: «أنا فرطكم على الحوض، من ورد شرب،

(١) أخرجه مسلم (ح٢٥٨٢).
(٢) أخرجه البخاري (ح٦٨٦٤).
(٣) أخرجه البخاري (ح٤٧٢٩).

ومن شرب لم يظمأ أبدًا، وليردنّ عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم»[(١)]، وفي حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: «فيقول: إنهم مني. فيقال: إنك لا تدري ما عملوا بعدك. فأقول: سحقًا سحقًا لمن بدل بعدي»[(٢)].

ووصفه النبي ﷺ بقوله: «حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبدًا»[(٣)].

٧- الصراط:

وهو جسر على متن جهنم، يمرّ عليه الناس، فمن اجتازه سلم، ومن سقط عنه سقط في النار، قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١، ٧٢].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة أذّن مؤذن: ليتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغُبَّر أهل الكتاب، فيدعى اليهود، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزيرًا ابن الله. فيقال: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا رب فاسقنا. فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا، فيتساقطون في النار.

ثم يدعى النصارى، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله. فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا رب فاسقنا. قال فيشار إليهم: ألا تردون؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا، فيتساقطون في النار.

حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر، أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها، قال: فماذا تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر

---

(١) أخرجه مسلم (ح٥٩٦٨).
(٢) أخرجه مسلم (ح٥٩٦٩).
(٣) أخرجه البخاري (ح٦٥٧٩)، وأخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما (ح٥٩٧١).

ما كنا إليهم ولم نصاحبهم. فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئًا . مرتين أو ثلاثًا . حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب. فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم. فيكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم، وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة. فقال: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا، ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم سلم».

قيل: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: «دحض مزلة، فيه خطاطيف وكلاليب وحَسَك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق، وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلَّم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم»[(١)].

وبعد أن يجتاز المؤمنون الصراط يوقف من كان عليه حق أو في قلبه غل على أخ له فيخلصون من ذلك كله، ثم يؤذن لهم في دخول الجنة قال النبي ﷺ: «يخلص المؤمنون من النار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذّبوا ونُقّوا أذن لهم في دخول الجنة فو الذي نفس محمَّد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة من منزله كان في الدنيا»[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

٨- الشفاعة:

الشفاعة لغة: الوسيلة والطلب، وعرفًا: سؤال الخير للغير، وقيل: هي من الشفع الذي هو ضد الوتر؛ فكأن الشافع ضم سؤاله إلى سؤال المشفوع له.

والشفاعة حق إذا تحققت شروطها، وهي: أن تكون بإذن الله تعالى، ورضاه عن المشفوع له.

قال الله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦] .

فتبين من هذه الآية الكريمة أن الشفاعة لا تنفع إلا بشرطين:

---

(١) أخرجه مسلم (ح٤٥٤).

(٢) أخرجه البخاري (ح٦٥٣٥).

الأول: إذن الله للشافع أن يشفع؛ لأن الشفاعة ملكه سبحانه وهو القائل: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

الثاني: رضاه عن المشفوع فيه؛ بأن يكون من أهل التوحيد، فالمشرك لا تنفعه الشفاعة، قال تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

فتبين بهذا بطلان ما عليه القبوريون اليوم الذين يطلبون الشفاعة من الأموات، ويتقربون إليهم بأنواع القربات، قال الله في سلفهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، وقال تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٤٣].

وقد أعطى الله تعالى نبينا ﷺ الشفاعة، فيشفع لمن أذن الله له فيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وله ﷺ في القيامة ثلاث شفاعات:

أما الشفاعة الأولى: فيشفع في أهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد أن تتراجع الأنبياء آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم الشفاعة حتى تنتهي إليه.

وأما الشفاعة الثانية: فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة.

وهاتان الشفاعتان خاصتان له.

وأما الشفاعة الثالثة: فيشفع فيمن استحق النار، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم، يشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها".

وقال رحمه الله: "وأما شفاعته لأهل الذنوب من أمته؛ فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم، وأنكرها كثير من أهل البدع من الخوارج والمعتزلة والزيدية، وقال هؤلاء: من يدخل النار؛ لا يخرج منها لا بشفاعة ولا غيرها! وعند هؤلاء ما ثَمَّ إلا من يدخل الجنة فلا يدخل النار، ومن يدخل النار فلا يدخل الجنة، ولا يجتمع عندهم في الشخص الواحد ثواب وعقاب...".

إلى أن قال: "واحتج هؤلاء المنكرون للشفاعة بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ

شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨]، وبقوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وبقوله: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، وبقوله: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

وجواب أهل السنة: أن هذا يراد به شيئان:

أحدهما: أنها لا تنفع المشركين؛ كما قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٢ – ٤٨]؛ فهؤلاء لا تنفعهم شفاعة الشافعين لأنهم كانوا كفارًا.

والثاني: أنه يراد بذلك الشفاعة التي يثبتها أهل الشرك ومن شابههم من أهل البدع من أهل الكتاب والمسلمين الذين يظنون أن للخلق عند الله من القدر أن يشفعوا عنده بغير إذنه كما يشفع الناس في بعضهم عند بعض".

٩- الجنة والنار:

خلقهما الله تعالى لمجازاة العباد، وهما باقيتان لا تفنيان أبدًا لأن الله تعالى أراد لهما ذلك.

- **من مشاهد الجنة:**

إذا دخل المؤمنون الجنة واجتازوا أهوال القيامة والصراط قالوا: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ . الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٤، ٣٥]، والجنة دار الكرامة ودار الفائزين ودار مرضاة رب العالمين: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، لها ثمانية أبواب، ما بين المصارعين من أبوابها مسيرة أربعين سنة، وهي درجات، يرى أهل الجنة أصحاب الغرف العالية في الجنة كما نرى الكوكب الدريّ الغائر في السماء، وأعلاها وأوسطها جنة الفردوس، منها تتفجر أنهار الجنة، وأعلاها عرش الرحمن جل وعلا.

بناؤها من الذهب والفضة، وتربتها المسك والزعفران، وحصباؤها الدر والياقوت، تجري فيها أنهار من ماء، وأنهار من لبن، وأنهار من خمر لذيذة، وأنهار من عسل، وفيها عيون الماء، كعين الكافور

والتسنيم والسلسبيل، وآنيتها الذهب والفضة، وفيها قصور عالية، وفيها خيام؛ الخيمة لؤلؤة مجوفة طولها في السماء ثلاثون ميلاً للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بعضهم بعضًا، وأما أشجار الجنة فسيقانها من ذهب، وفيها أشجار السدر والطلح سهلة التناول لا شوك فيها، تتفتق الثمرة الواحدة منها عن سبعين نوعًا من الطعوم والألوان التي يشبه بعضها بعضًا وهي مختلفة، وأما سدرة المنتهى فنبقها كقلال هجر، وورقها مثل آذان الفيلة.

وفيها شجرة يسير الراكب الجواد السريع في ظلها مئة عام لا يقطعها، والجنة ليس فيها كدَر ولا غِلّ ولا حقد، قلوب أهلها صافية نقية، وأعمالهم وأقوالهم طيبة، لا لغو فيها ولا تأثيم.

وأول من يدخلها نبينا مُحَمَّد ﷺ وأمته، ويدخل فقراء المهاجرين والفقراء عامة قبل الأغنياء بأربعين سنة وبعضهم بخمسمئة سنة، وآخر من يدخلها من المسلمين من دخل النار بسبب ذنوبه، فإذا خرجوا من النار وقد احترقوا إلا موضع السجود صُبّ عليهم ماء الحياة، فينبتون كما تنبت الحِبّة.

وأما أهل الجنة فـ(أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها، ولا يمتخطون، ولا يتغوطون، آنيتهم فيها الذهب، وأمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشيًا)[1] وهم على صورة آدم عليه السلام طولهم ستون ذراعًا، أبناء ثلاث وثلاثين، لا يمسهم فيها نصب ولا حزن، يأكلون ويشربون للتنعم لا للجوع والعطش، ورشحهم المسك.

ومن أعظم ما في الجنة من النعيم رضوان الله تعالى عليهم فلا يسخط عليهم أبدًا، وأعظم نعيمها رؤية المؤمنين لربهم عز وجل، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦].

وأما أعمال أهل الجنة التي استحقوا بها المراتب العالية بعد رحمة الله تعالى فهي كثيرة، وأعظمها توحيد الله تعالى، ومنها الشهادة في سبيل الله، والسعي على الأرملة والمسكين، وكفالة اليتيم، وحسن الخلق، وبناء المساجد، وغراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، والمحافظة على صلاة

(١) أخرجه البخاري (ح٣٢٤٥)، وأخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (ح٧١٥١).

ثنتي ركعة تطوعًا في اليوم، والصبر والتوكل، والاستقامة، والخوف من الله تعالى، والوفاء بالعقد، وصلة الرحم، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة.

- **من مشاهد عذاب النار:**

والنار واسعة، بعيد قعرها، شديد حرها، سمع النبي ﷺ وجبةً، فقال لأصحابه: «**تدرون ما هذا؟**» فقالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفًا، فهو يهوي في النار إلى الآن**»[1]، وأخرج مسلم من حديث ابن مسعود أنه ﷺ قال: «**يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**»[2] أي يجرها (٤٩٠٠) مليون ملك.

لها سبعة أبواب لكل باب نصيبٌ من أهلها، إذا دخلوها أغلقت عليهم، فهي مؤصدة لا مطمع لهم في الخروج منها، وهي دركات بعضها تحت بعض، متفاوتة في عذابها، وقودها الناس والحجارة، شديدة الحر، نتنة الرائحة، ظلها دخانها لا يظل ولا يقي من لهبها، ترمي بشرر عظيم أسود، تلفح الوجوه، وتحرق الجلود، حتى تصل إلى العظم، وتصهر ما في البطون، القطرة من الزقوم لو وقعت في الأرض لأفسدت على الناس معايشهم، والغمسة فيها تنسي نعيم الدنيا، فيها أغلال وقيود.

يضخم فيها الكافر حتى يكون ضرسه مثل جبل أحد، ويغلظ جلده، وكلما احترق جلده أبدله الله جلدًا آخر ليذوق العذاب، طعامهم الشوك والزقوم، يغصون في أكله ولا يغني من الجوع شيئًا، فإذا امتلأت بطونهم منه أخذ يغلي في بطونهم، فيطلبون الشراب؛ فيسقون فيشربون من الحميم شربًا كثيرًا لا يرتوون منه فتتقطع أمعاؤهم، وأما لباسهم فحلل مفصلة من النار، وفيها ثياب من قطران، وثياب من جرب، وهم في عذاب دائم لا ينقطع عنهم ولا يخفف، وتغل أيديهم إلى أعناقهم ويسحبون في النار، ويصب على رؤوسهم الحميم فيصهر جلودهم وبطونهم، وأهونهم عذابًا من في أسفل قدميه جمرة يغلي منها دماغه.

وأما جرائم الكفار التي استحقوا عليها العقوبة فقد سبق ذكر بعضها، وهي متنوعة جاء ذكر

---

(١) أخرجه مسلم (ح٢٨٤٤).
(٢) أخرجه مسلم (ح٢٨٤٢).

بعضها في كتاب الله تعالى مثل الكفر والشرك، والتكذيب بيوم القيامة، وترك التكاليف الشرعية كالصلاة وإطعام المساكين، وطاعة ساداتهم الرؤساء في ضلالهم، والاستكبار على الحق، والنفاق. وثبت في الأحاديث الوعيد بالنار على من فعل جملة من المعاصي وإن كان من المسلمين منها: الحسد والكذب، والخيانة، والخديعة، وقطيعة الرحم، والبخل، وترك الفرائض، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وأكل أموال الناس بالباطل، والزنا، والكذب على النبي ﷺ، وقتل النفس، وقتل النفس التي حرم الله بغير حق، والمصورون، والنساء الكاسيات العاريات، والشرب في آنية الذهب والفضة، وغيرها من المعاصي.

❑ آثار الإيمان باليوم الآخر:

١- الاستكثار من الصالحات والمسابقة بالعمل للدار الباقية: قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨].

٢- طمأنينة القلب وعدم اليأس والقنوط من متاعب الحياة أو ما قد يوجد في بعض الفترات من ضعف أهل الحق وغلبة أهل الباطل؛ لأن هذه دار اختبار، وكلٌ سيحاسب على ما قدمت يداه؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر. قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «مثل المؤمن كمثل خامة الزرع، يفيء ورقه، من حيث أتتها الريح تكفئها، فإذا سكنت اعتدلت، وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء، ومثل الكافر كمثل الأرزة، صماء معتدلة، حتى يقصمها الله إذا شاء»[(١)].

٣- إدراك رحمة الله تعالى بالمؤمنين، وعدله بين عباده؛ فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ولا يغفل عن ظلم الظالمين، بغي المتجبرين. دخل عمر رضي الله عنه على النبي ﷺ فرأى ما هو عليه من شدة

(١) أخرجه البخاري (ح٧٤٦٦) واللفظ له، ومسلم (ح٢٨٠٩).

الحال وقلة المتاع، وقد أثّر الحصير في جنبه فبكى، فقال له: فقال: «ما يبكيك»؟ فقال عمر ﷺ: يا رسول الله، إن كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت رسول الله. فقال: «أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة»[1].

٤- محاسبة النفس، وضبط الأقوال والأعمال بالشرع، بخلاف الكافر فإن همه الاستمتاع بأقصى ما يستطيع من متع الدنيا قبل مفارقتها دون قيد من دين أو أخلاق ثم مصيره إلى النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [مُحَمَّد: ١٢].

قارن بين علامات الساعة الصغرى وعلامات الساعة الكبرى بتعبئة الجدول التالي:

وجه المقارنة	علامات الساعة الصغرى	علامات الساعة الكبرى
المفهوم		
أمثلة		

(١) أخرجه البخاري (ح٤٩١٣)، ومسلم (ح١٤٧٩).

الموضوع الثامن: الإيمان بالقدر

❑ أولاً: معنى الإيمان بالقدر:

التصديق الجازم بأن الله تعالى بكل شيء عليم، وأنه كتب مقادير كل شيء في اللوح المحفوظ، فلا يقع شيء إلا وَفق علمه وتقديره.

وورد في الأدلة الشرعية كلمة القضاء وكلمة القدر، والفرق بينهما أن القدر تقدير ما هو كائن، والقضاء وقوع ما قدره الله تعالى.

❑ ثانيًا: الأدلة على وجوب الإيمان بالقدر:

تظافرت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الإيمان بالقدر؛ فمنها:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].
- قوله تعالى: ﴿كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].
- ثبت في حديث جبريل عليه السلام ضمن أركان الإيمان، حتى قال ابن عمر رضي الله عنه لما سأله رجل عمن ينكر القدر: «إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبدالله ابن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر»[1] ثم استدل بحديث جبريل عليه السلام.

(١) أخرجه مسلم (ح٩٣).

❑ ثالثًا: مراتب القدر:

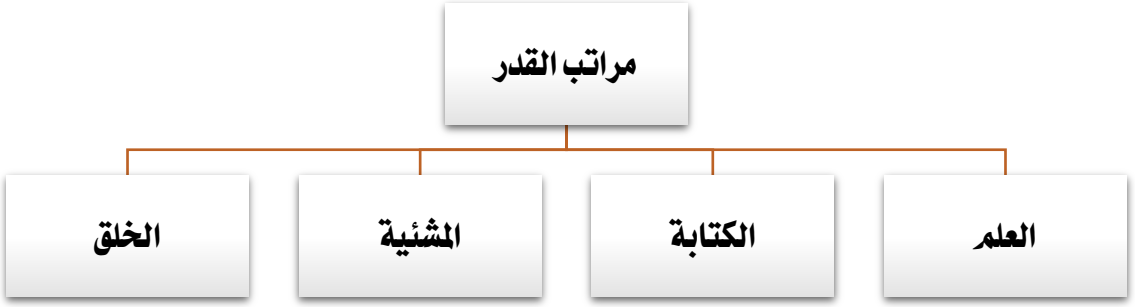

للقدر أربع مراتب لا يصح الإيمان بالقدر إلا باعتقادها جميعًا، وهذه المراتب هي:

المرتبة الأولى: مرتبة العلم:

- مفهومها: يجب الإيمان بأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا؛ علم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، ولا يقع شيء إلا مطابقًا لما علمه الله تعالى في الأزل قبل أن يخلق الخلق.
- دليلها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]، وقال تعالى: عن الكفار حين يتمنون الرجعة للدنيا: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨].

فأخبر بما كانوا سيعملونه لو ردوا مع كونهم لا يردون للحياة الدنيا، وآيات علم الله تعالى كثيرة جدًا، وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة» فقال رجل: يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ فقال: «من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة» فقال: «اعملوا فكل ميسر، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ . وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ . وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾[(١)].

(١) أخرجه مسلم (ح٦٧٣١).

المرتبة الثانية: مرتبة الكتابة:

- مفهومها: وهي الإيمان بأن الله تعالى خلق القلم قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وأمره أن يكتب في اللوح المحفوظ ما سبق به علمه أنه سيكون إلى قيام الساعة. دليلها: قول الله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، وهو اللوح المحفوظ، وعن عبدالله بن عمرو ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة. قال: وعرشه على الماء**»(١)، وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب. فجرى بما هو كائن إلى الأبد**»(٢)، وعن عبدالله بن مسعود ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكًا ويؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه كتابه، فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة**»(٣).

المرتبة الثالثة: مرتبة المشيئة:

- مفهومها: يجب الإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته التامة، فما شاء وجوده كان بقدرته، وما لم يشأ وجوده لم يكن؛ لأن الله تعالى لم يُرِدْه، وعليه فكل ما يقع هو بقدرة الله تعالى وإرادته، وما لم يقع فإن الله لم يرده.

وإرادة الله تعالى نوعان:

الأولى: إرادة بمعنى المشيئة:

وهي الإرادة الكونية القدرية، وتقتضي وجود الشيء كما أراده الله تعالى، ويستحيل أن يقع

---

(١) أخرجه مسلم (ح٦٧٤٨).
(٢) أخرجه الترمذي (ح٣٣١٩) واللفظ له، وأبو داود (ح٤٧٠٠)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.
(٣) أخرجه البخاري (ح٣٢٠٨)، ومسلم (ح٦٧٢٣).

شيء لم يرده الله تعالى، أو أن يقع على غير ما أراده الله تعالى، وقد وردت الإرادة بهذا المعنى في مواضع عديدة منها:

- قول الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].
- قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].
- قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٤١].

الثانية: إرادة بمعنى المحبة والرضا:

هي الإرادة الشرعية، أي أن ما وقع بإرادة الله الكونية منه ما يحبه الله ويرضاه كالإيمان وسائر الطاعات، ومنه ما لا يحبه الله ويرضاه كالكفر وسائر المعاصي قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]. والله جل وعلا يحاسب العبد يوم القيامة على فعل ما يحبه وترك ما يبغضه، وهو ما جاءت به الشريعة، وبحسب هذا التوضيح فإن أهل الإيمان والطاعة اجتمعت فيهم الإرادة الكونية والشرعية؛ لأن أعماله وقعت موافقة لإرادة الله الكونية ولما يحبه ويرضاه (الإرادة الشرعية)، وأهل المعصية كانت معصيتهم موافقة لإرادة الله الكونية مخالفة لما يحبه ويرضاه (الإرادة الشرعية).

المرتبة الرابعة: مرتبة الخلق:

مفهومها: يجب الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء، فهذا الكون وما فيه من مخلوقات وما نتج عنها من أفعالها مخلوقة لله تعالى.

-دليلها: قول الله تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]. ومعنى خلق الله تعالى لأعمال الناس أن العمل لا يقع من العبد إلا باجتماع القدرة على العمل وإرادته فعله، وقدرة العبد وأعمال القلب من الإرادة والحب وغيرهما مخلوقة لله تعالى، لكن العبد هو الذي يوجه إرادته للفعل أو عدمه.

❑ رابعًا: قواعد في الإيمان بالقدر:

١- وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره، وهو ركن من أركان الإيمان لا يقبل الله تعالى إيمان عبد حتى يؤمن به.

٢- القدر سر من أسرار الله تعالى، لا يجوز الخوض فيه بالعقل وسؤال لم؟ وكيف؟ فإن الله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، كما أن البحث في كيفية القدر بحث في كيفية صفات الله تعالى وهو مما لا طاقة للعقل البشري به، والواجب الاقتصار والاهتداء بما ورد في الكتاب والسنة، وإلا وقع المسلم في أنواع من الضلال والانحراف عن الشريعة. وقد غضب النبي ﷺ أشد الغضب من الخوض في القدر بدون علم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر فغضب حتى احمر وجهه حتى كأنما فقئ في وجنتيه الرمان، فقال: «**أبهذا أمرتم؟ أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه**»[(١)] وهذا صريح في أن على المسلم أن يشغل نفسه بالتكاليف الشرعية التي جاء بها الأمر والنهي لا أن يشغل نفسه بشيء نهي عن البحث فيه إلا إذا كان السؤال بقصد التعلم والفهم.

٣- الله تعالى حكيم عليم رحيم في ما قدره، ولا يخلق شرًا محضًا (يعني ليس فيه خير من وجه من الوجوه)، فالكفر والمعاصي لا يحبها الله تعالى لكنه قدر وجودها لأنه فيها خيرًا من جهة تميز الحق عن الباطل، وابتلاء المؤمنين وإثابتهم بمدافعتهم للباطل.

٤- للعبد مع ما يقع من الأقدار حالات:

-إذا كان مما لا يد له فيه كالمصائب والأمراض:

- فحاله قبل وقوع القدر: الدعاء، وطلب ما ينفعه في الدنيا والآخرة، والاستعانة بالله تعالى والتوكل عليه في تحقيق المراد.
- وحاله بعد وقوع القدر: الصبر عليه والرضا؛ لأنه قضاء كتبه الله عليه، ويسعى في رفعه؛ فيدفع قدر الله بقدر الله.

---

(١) أخرجه الترمذي (ح٢١٣٣)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي.

-إذا كان المقدور من فعل الإنسان:

- فقبل الفعل يعزم على فعل المأمورات واجتناب المنهيات، ويستعين بالله على ذلك.
- فإذا فعله وكان خيرًا وطاعة أو تركه وكان معصية: فيحمد الله تعالى ويشكره على توفيقه وإعانته، ويستغفر من التقصير.
- وإذا كان فعلا لمحرم أو تركا لواجب فيستغفر الله ويتوب إليه، ويلوم نفسه على معصيتها لله تعالى، ويستدرك ما فاته.

ومن الأدلة على ما سبق قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: ٥٥]، فأمر تعالى بالصبر على المصائب، والاستغفار من الذنب. وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل قَدَرُ الله وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان»[(١)] فالمؤمن يرضى ويفوض أمره إلى الله، وبهذا يتخلص من مرض العجز وتقوى نفسه على طاعة الله تعالى، ولا يتذرع بالقدر على العجز وترك العمل.

٥- الصبر من لوازم الرضا بقضاء الله، والتسخط والاعتراض على أقدار الله ينافيان الصبر والرضا، والصبر على أقدار الله المؤلمة يكون بالقلب واللسان والجوارح:

- فصبر القلب بحبسه عن الجزع، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١]، قال علقمة: هو الرجل تُصيبُهُ المصِيبةُ فَيعلم أَنها من عِندِ الله، فَيرضَى ويُسَلِّم.
- وصبر اللسان بحبسه عن التشكّي لغير الله سبحانه وتعالى، قال رسول الله ﷺ: «اثْنَتَانِ فِي الناس هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ على الْمَيِّتِ»[(٢)]، فالنياحة على الميت برفع

(١) أخرجه مسلم (ح٢٦٦٤).
(٢) أخرجه مسلم (ح٢٢٧).

الصوت بالبكاء والعويل منافية للصبر، وجعلها كفرًا أصغر منافيًا لكمال التوحيد ولا يخرج من الإسلام.

- وصبر الجوارح بحبسها عما يدل على عدم الرضا كلطم الخدود وشقّ الجيوب، قال رسول الله ﷺ: «ليس مِنَّا من ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»(١).

❑ خامسًا: من القوادح في الإيمان بالقدر:

- إنكار القدر، أو إنكار إحدى مراتبه الأربع، وهذا الإنكار كفر بالله تعالى، وتكذيب لله ورسوله ﷺ.

- ترك العمل تواكلاً على القدر وهذه معصية سببها الخطأ في فهم الأدلة الشرعية؛ لأن كتابة أعمال العبد موافقة لما سبق في علم الله تعالى أن العبد سيعمله بعد أن يخلق، والعبد بعد أن يوجد لا بد وأن يقع عمله موافقًا لعلم الله تعالى؛ لأن علم الله تعالى لا يتغير ولا يتخلّف، والله عز وجل أنزل الشرائع، وأمر عباده بامتثال الأمر والنهي، وأخبرهم بقدره السابق ليؤمنوا به، وليجتهدوا في طاعته، لا ليتذرعوا بالقدر على ترك العمل. فمن ترك العمل تواكلاً فقد وقع في محاذير منها: سوء الظن بالله تعالى، وادعاء أنه علم ما قدره الله عليه، وفيه ترك لما أوجبه الله عليه من العمل. والعجب أن من الناس من يتفلت من التكاليف محتجًا بالقدر - ولا حجة له فيه -، وفي المقابل يجتهد في طلب الرزق، ولا يرضى أن يتعدى أحد على ماله ثم يعتذر بأن الله قدره عليه!

- الاحتجاج بالقدر على ترك العمل، فيقول العبد: لا أفعل كذا من أنواع الخير لأن الله لم يرده مني، أو لا أترك كذا من الشر لأن الله أراده مني؛ فكيف عرفوا أن الله أراد ذلك منهم؟! وقد ردّ الله على مثل هذا القول بقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨] فقولهم هذا مجرد دعوى لا دليل عليها.

- التسخط والاعتراض على أقدار الله تعالى، ومن الأقوال التي تدلّ على عدم الرضا:

(١) أخرجه البخاري (ح١٢٩٧)، ومسلم (ح٢٨٥).

- أن يقول الرجل مثلاً: لو فعلت كذا لما وقع هذا ولكان الأمر على ما أحب. وقد نهى النبي ﷺ عن قول (لو) إذا كانت على سبيل الاعتراض والتسخط على القدر.
- سب الزمان والوقت الذي وقعت فيه المصيبة؛ لأن الزمان لا أثر له في وقوع المصائب أو المحبوبات على العبد، وهي إنما تقع بتقدير الله تعالى، فسب الزمان في الحقيقة سب لمن خلقه، ولذا ورد في الحديث القدسي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**قال الله تعالى: يُؤْذِينِي بن آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وأنا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»(١).

❑ سادسًا: ثمرات الإيمان بالقدر:

١- الاجتهاد في بذل الأسباب فيما ينفع العبد في دينه ودنياه، وعدم التواكل (ترك الأسباب)؛ لأن التواكل مخالف للإيمان بالقدر.

٢- يجعل المسلم ذا شخصية متزنة قوية ثابتة في جميع أحواله، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا**﴾ [المعارج: ١٩، ٢٠]، فالمؤمن على خلاف ذلك؛ إذا مسته الضراء صبر فكان خيرًا له، وإذا مسته السراء شكر فكان خيرًا.

٣- تعلق القلب بالله تعالى دائمًا، وهذا التعلق سبب لكثير من عبادات القلب كالتوكل والاستعانة بالله تعالى.

٤- يجعل العبد بين الخوف والرجاء، فلا يغتر بطاعته؛ لأنه لا يأمن مكر الله تعالى، ولا يدري بم يختم له، وإذا وقع في المعصية لم ييأس من رحمة الله ورجا أن يبدل الله حاله إلى خير.

نشاط

لخص الموضوع الثامن (الإيمان بالقدر) في خريطة ذهنية.

(١) أخرجه البخاري (ح٤٨٢٦)، ومسلم (ح٥٨٦٢).

ناقش وسجل ثمرة الإيمان بالقدر على الفرد والمجتمع من وجهة نظرك.

ثمرة الإيمان بالقدر على الفرد	ثمرة الإيمان بالقدر على المجتمع

سجل بعض المخالفات العقدية في القدر وأثرها على الفرد والمجتمع.

م	المخالفة	أثرها

ملف الإنجاز:

(١) اكتب بحثًا عن الإيمان وأثره في تحصين الأمة الإسلامية.

(٢) اكتب بحثًا عن عصمة الأنبياء، وبعض المخالفات العقدية فيها.

(٣) قارن بين نقص الإيمان وزيادته.

(٤) لخص علامات الساعة.

مصادر التعلم:

(١) الإيمان، ابن تيمية.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفي، القاضي عياض.

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول، ابن تيمية.

(٤) العصمة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، منصور بن راشد التميمي.

(٥) أهل البيت عند شيخ الإسلام ابن تيمية، عمر بن صالح القرموشي.

(٦) اتحاف الجماعة في أخبار الفتن والملاحم وأشراط الساعة، حمود بن عبد الله التوجيري.

(٧) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، عبد الله ابن عبد الرحمن الجربوع.

(٨) القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذهب الناس فيه، عبد الرحمن بن صالح المحمود.

(٩) ظاهرة ضعف الإيمان الأعراض والأسباب، مُحَمَّد صالح المنجد.

(١٠) زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، عبد الرزاق عبد المحسن البدر.

التقويم:

(١) عرف الإيمان لغة واصطلاحًا.

(٢) وضح العلاقة بين الإيمان والإسلام.

(٣) عدد أركان الإيمان، موضحًا آثار الإيمان بكل ركن من أركانه.

(٤) بين حقوق النبي ﷺ وأهل بيته وصحابته.

(٥) قارن بين الغلو في النبي ﷺ ومجافاته موضحًا أسباب كل منهما وأثره على الفرد.

(٦) اذكر المقصود بضعف الإيمان وأسبابه وأثره على الفرد.

(٧) ناقش أسباب زيادة الإيمان.

(٨) وضح المقصود بعصمة الأنبياء.

(٩) قارن بين النبي والرسول.

(١٠) عدد المخالفات العقدية في كل ركن من أركان الإيمان، موضحًا أثرها وكيفية علاجها.

* * *

الوحدة الثالثة

الشرك والكفر والنفاق

أهداف الوحدة:

يتوقع من الدارس بعد إنهائه لهذه الوحدة أن:

١- يناقش المفاهيم الأساسية المتعلقة بالشرك.

٢- يقارن بين أنواع الشرك.

٣- يشرح كيف حمى النبي ﷺ جناب التوحيد.

٤- يناقش المفاهيم الأساسية المتعلقة بالكفر.

٥- يقارن بين أقسام الكفر.

٦- يدرك خطورة الغلو في التكفير.

٧- يناقش المفاهيم الأساسية المتعلقة بالنفاق.

٨- يقارن بين أنواع النفاق.

٩- يستشعر خطورة النفاق.

١٠- يتجنب أفعال النفاق في حياته.

١١- يناقش المفاهيم الأساسية لتعلق القلب لغير الله.

١٢- يُفرق بين المخرج من الملة وغير المخرج منها.

مفردات الوحدة:

الموضوع الأول: الشرك الأكبر.

الموضوع الثاني: الشرك الأصغر.

الموضوع الثالث: الكفر.

الموضوع الرابع: النفاق.

الموضوع الخامس: تعلق القلب بغير الله.

عدد المحاضرات:

الدبلوم: (١٢) محاضرة. الدبلوم العالي: (٦) محاضرات.

تمهيد:

قال حذيفة بن اليمان ﷺ: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني»[1] فمن تمام معرفة العبد بربه وما يجب له أن يعرف ما يجرح إيمانه أو يبطله لئلا يقع فيه فيقع في الكفر أو النفاق أو في شعبة منها وهو لا يدري، وقد بيّن الله تعالى في كتابه سبيل المؤمنين مفصّلة، وبيّن سبيل المجرمين مفصّلة بيانا للناس قال تعالى: ﴿وكذلك نفصّل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين﴾ [الأنعام: ٥٥]، ونشرح في هذه الوحدة شيئًا من مبطلات التوحيد وقوادحه وبالله التوفيق.

(١) أخرجه البخاري (ح٣٦٠٣).

الموضوع الأول: الشرك الأكبر

ما أعظم ذنب عصي الله به؟

ما الذنب الذي لا يغفر الله لصاحبه إلا أن يتوب ويهجر هذا الذنب؟

ذلك هو الشرك بالله تعالى المخالف لحكمة الخلق، فما الشرك؟ وما أنواعه؟ وما أسباب الوقوع فيه؟

❑ أولاً: معنى الشرك:

جعل شريك لله تعالى في ربوبيته أو إلهيته أو أسمائه وصفاته.

❑ ثانيًا: أنواع الشرك:

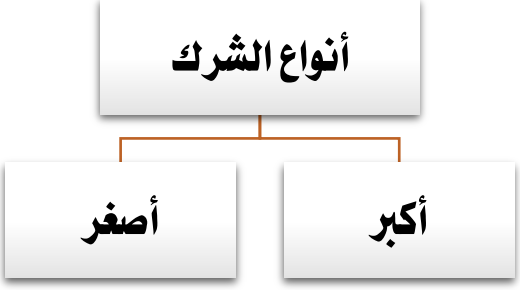

النوع الأول: الشرك الأكبر:

- هو صرف شيء من خصائص الربوبية أو الألوهية أو الأسماء والصفات لغير الله تعالى.
- هو ناقض من نواقض الإسلام؛ لأنه يخالف أصل التوحيد وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

النوع الثاني: شرك أصغر:

وسيأتي ذكره في الوحدة القادمة.

❑ أمثلة للشرك الأكبر:

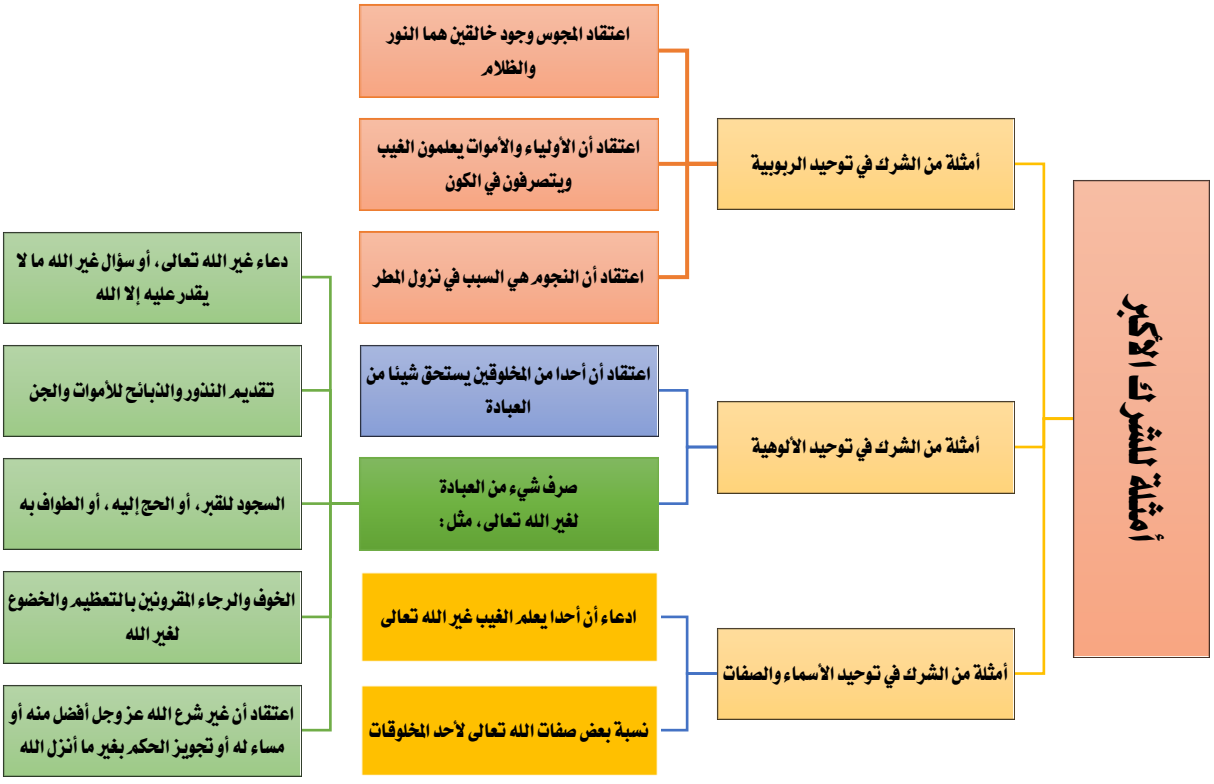

أمثلة الشرك كثيرة، ونذكر هنا بعض أمثلته مفصلة بحسب أنواع التوحيد الثلاثة:

أمثلة من الشرك في توحيد الربوبية:

- اعتقاد المجوس وجود خالقين هما النور والظلام.
- اعتقاد أن الأولياء والأموات يعلمون الغيب أو يتصرفون في الكون ويقضون حاجات من يدعونهم من دون الله.
- اعتقاد أن النجوم هي السبب في نزول المطر، ولها تأثير في طبائع الناس وما يقع عليهم من خير أو شر.

أمثلة من الشرك في توحيد الألوهية:

- اعتقاد أن أحدًا من المخلوقين يستحق شيئًا من العبادة.
- صرف شيء من العبادة لغير الله تعالى، مثل:
  - دعاء غير الله تعالى، أو سؤال غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله.
  - تقديم النذور والذبائح للأموات والجن.
  - السجود للقبر، أو الحج إليه، والطواف به.
  - الخوف والرجاء المقرونين بالتعظيم والخضوع لغير الله.
- اعتقاد أن غير شرع الله عز وجل أفضل منه أو مساوٍ له، أو تجويز الحكم بغير ما أنزل الله.

أمثلة من الشرك في توحيد الأسماء والصفات:

-ادعاء أن أحدًا يعلم الغيب غير الله تعالى من الأولياء أو الأموات أو الجن أو السحرة والكهان الغيب: عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على مُحَمَّد**»[1]. ومن ذلك قراءة الفنجان والكف أو النظر في النجوم وادعاء أنه يعرف بذلك ما سيقع في المستقبل من خير أو مصائب.

-نسبة بعض صفات الله تعالى لأحد من المخلوقات: كاعتقاد أن الأولياء يتصرفون في الكون، أو يسمعون الغائب، أو بيدهم أن يرزقوا أحدًا أو يشفوه أو يمرضوه. وقد جعل الله تعالى من آيات عيسى عليه السلام المعجزة أنه يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص لكن كل ذلك بإذن الله لا بقدرته الذاتية.

وكل هذا يدخل أيضًا في شرك الربوبية كما أشرنا إليه من قبل.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (ح٩٥٣٦)، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند: حسن، رجاله ثقات رجال الصحيح.

نشاط

اذكر أمثلة للشرك غير ما ذُكر.

أمثلة من الشرك في توحيد الربوبية	أمثلة من الشرك في توحيد الألوهية	أمثلة من الشرك في توحيد الأسماء والصفات

❑ أسباب الوقوع في الشرك ووسائله :

١- الغلو في الصالحين:

عن ابن عباس ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»(١)، وأول ما ظهر الشرك في بني آدم كان بسبب الغلو في الصالحين، وذلك أن الأصنام التي كان يعبدها قوم نوح عليه السلام كانت «**أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتَنَسَّخ العلم عُبدت**»(٢).

٢- رفع القبور والبناء عليها، واتخاذها مساجد:

ولخطورة هذا الأمر جاء النهي الشديد عن هذه الأشياء الثلاثة، فعن أبي الهياج الأسدي، قال: قال لي علي بن أبي طالب ﷺ: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ «**أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته**»(٣)، وعن جندب بن عبدالله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «**ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك**»(٤)، وقال أيضًا في مرض موته ﷺ: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(٥)، كما لا يجوز جعلها مكانًا للصلاة ولو كان دون بناء لقوله ﷺ: «**لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها**»(٦).

٣- الهوى واتباع الشهوات:

فإن التوحيد يلزم باتباع الشريعة، والشريعة فيها تهذيب وتقييد لسلوك الإنسان من أن ينجرف وراء الشهوات، والشرك بخلاف ذلك، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ**﴾ [إبراهيم: ٣].

٤- انتشار الدعوات الضالة والفرق المنحرفة في واقع المسلمين.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (ح٣٠٢٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (ح٢٦٨٠).
(٢) أخرجه البخاري (ح٤٩٢٠).
(٣) أخرجه مسلم (ح٢٢٤٣).
(٤) أخرجه مسلم (ح١١٨).
(٥) أخرجه البخاري (ح٤٣٥)، ومسلم (ح١١٨٤) واللفظ له.
(٦) أخرجه مسلم (ح٢٢٥٠).

❑ خطر الشرك وآثاره على الفرد والمجتمع:

١- أعظم الذنوب:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]؛ لأنه تسوية للمخلوق بالخالق سبحانه وتعالى، ولا يكفّره إلا التوبة منه قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

٢- الخلود في النار:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦]، قد حرم الله على المشرك الجنة قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

٣- انتكاسة في الفطرة:

لأنه ينقل العبد من عبودية الله تعالى إلى عبودية مخلوق مثله لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا، فإذا انحطت نفس العبد إلى هذا المستوى - وطبيعته الظلم والجهل - فكل آفة وجريمة يمكن أن تقع منه، ولن يحكم المجتمع حينئذ إلا قانون المصلحة والقوة.

٤- تشبه حياتهم حياة البهائم:

النفس المؤمنة تتطلع دائمًا إلى رضا الله تعالى، وتسمو إلى الطهارة والأخلاق العالية، وفي مقابلها النفس الكافرة تطلعها إلى شهواتها ومصالحها الدنيوية، وحينئذٍ يكون أقرب شيء يشبه حياتهم حياة البهائم كما قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الفرقان: ٤٤].

٥- تمزق النفس واضطرابها، فلا تجد راحة أو طمأنينة:

لأن طمأنينة المؤمن بذكر الله تعالى كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وأما الكافر فحاله كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

٦- الانحراف عن الفهم السليم والتطبيق الصحيح لشرع الله في واقع المسلمين.

❑ سبل الوقاية من الشرك:

١- مراقبة النفس، ومذاكرة مسائل الاعتقاد وما يقدح فيه؛ ليكون المسلم على حذر دائم.

٢- معرفة مداخل الشيطان على الأمم السابقة، وكيف دخلها الشرك، ودعوة أنبيائهم لهم إلى التوحيد الخالص.

٣- استشعار فضل التوحيد وما أعده الله لمن استكمل التوحيد من الدرجات العالية، وعاقبة الشرك في الدنيا من ضيق النفس ونكد الحياة، وفي الآخرة من العذاب الأليم.

٤- التذكير الدائم بعظمة الله تعالى، والتفكر في آياته وقدرته؛ ليقر في القلب تعظيمه والاستسلام له جل وعلا.

٥- ذكر الله الدائم بالقلب واللسان والجوارح؛ لأن من أخطر الأمراض التي يدخل معها الشيطان داء الغفلة.

٦- الحذر من وسائل الشرك التي نهى عنها النبي ﷺ من الغلو في الصالحين، وبدع القبور وغيرها.

٧- الالتجاء إلى الله تعالى بالدعاء بالثبات على الدين والسلامة من الشرك كما كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإن المعصوم من عصمه الله تعالى، وكان النبي ﷺ يقول في دعائه: «**اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك**»[١] وقال: «**إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن عز وجل كقلب واحد، يُصَرِّفه حيث يشاء**»[٢].

* * *

(١) أخرجه مسلم (ح٢٦٥٤).

(٢) أخرجه مسلم (ح٦٧٥٠).

الموضوع الثاني: الشرك الأصغر

تقدم الحديث عن الشرك الأكبر وما يتعلق به من بيان معناه وحكمه، ومرّت بنا إشارات إلى الشرك الأصغر، ونبسط هنا القول فيها قليلاً.

❑ أولاً: تعريف الشرك الأصغر:

أقوال وأفعال واعتقادات تنقص من التوحيد ولا تبطل أصله، وقد توصل إلى الشرك الأكبر. وسمي شركًا أصغر لأن فيه شائبة الشرك ولا يصل إلى مرتبة الشرك الأكبر.

❑ ثانيًا: حكم الشرك الأصغر:

كبيرة من كبائر الذنوب، وهو أعظم من غيره من الذنوب، وهو ينقص التوحيد ولا يبطله؛ لأن مرتكبه عنده أصل الإيمان.

❑ ثالثًا: أمثلة للشرك الأصغر:

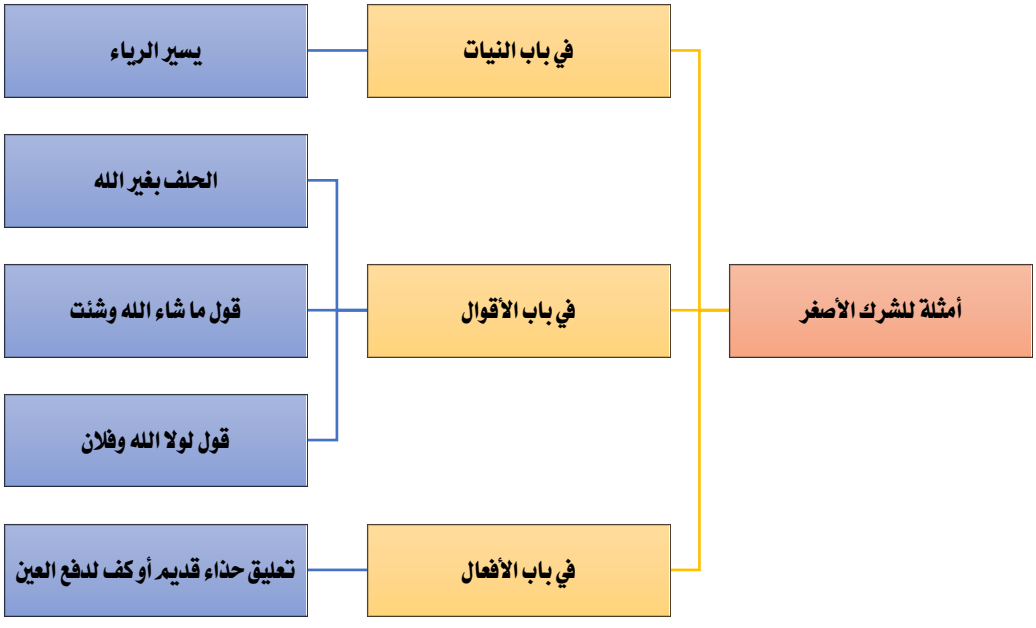

أمثلة الشرك الأصغر كثيرة، وتذكر هنا بعض أمثلته مفصلة بحسب ما تتعلق به من القصد والقول والعمل:

- **أمثلة للشرك الأصغر في باب النيات:**

يسير الرياء:

وهو الشرك الخفي، وهو أن يريد بعمله الدنيا بأن يعمل عملاً مما يبتغى به وجه الله يريد به حظًا من الدنيا كثناء الناس أو كسب مال، كمن يتصدق ليقال كريم، أو يقرأ القرآن ليقال حافظ، أو يحسن صلاته ليقال عابد، وهذا يقدح في شرط من شروط قبول العمل ألا وهو الإخلاص، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال النبي ﷺ: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**». قالوا: يا رسول الله. وما الشرك الأصغر؟ قال: «**الرياء. إن الله يقول يوم تجازى العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون بأعمالكم في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً**»[(١)]، وفي الحديث القدسي قال الله تبارك وتعالى: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**»[(٢)]، وليس من الرياء أن يعمل العبد العمل لله فيطلع عليه الناس دون قصد منه؛ فيثنون عليه به، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه؟ قال: «**تلك عاجل بشرى المؤمن**»[(٣)].

علاج الرياء:

- تقوية الإيمان بالتفكر في عظمة الله تعالى وافتقار العبد إلى أن يقبل عمله لينجو يوم القيامة.
- اليقين بأن الناس عباد مثله لا يملكون له ضرا ولا نفعا، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (ح٢٣٦٣٥)، وجوَّد إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (ح٩٥١).
(٢) أخرجه مسلم (ح٢٩٨٥).
(٣) أخرجه مسلم (ح٦٧٢١).

- العلم بأن الله تعالى إذا سخط على العبد؛ أوشك الناس أن يسخطوا عليه، وإذا أحبه الله تعالى؛ ألقى له القبول في الأرض.
- الإكثار من التضرع لله تعالى والدعاء بأن يخلص عمله لله تعالى.
- مراقبة القلب على أن لا يلتفت إلى غير الله تعالى فيتفرق في شعب الدنيا، فإذا شعر من قلبه تشتتا والتفاتا إلى غير الله تعالى بادر بمجاهدته ورده إلى الله تعالى؛ لئلا يكون ممن قال الله فيهم: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠].

- **أمثلة للشرك الأصغر في باب الأقوال:**

- **الحلف بغير الله:**

عن عبدالله بن عمر ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[(١)] لأن الحلف بغير الله تعظيم لا يليق إلا بالله تعالى.

- **قول ما شاء الله وشئت، وقول: لولا الله وفلان:**

لأن العطف بالواو يقتضي التساوي بين الخالق والمخلوق في المشيئة، والله جل وعلا يقول: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، وعن ابن عباس ﷺ أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت. فقال النبي ﷺ: «أجعلتني لله عدلاً؟! بل ما شاء الله وحده»[(٢)].

وهذه الأفعال قد تنقل صاحبها إلى الشرك الأكبر إذا كان يعظم المحلوف به كتعظيمه لله تعالى أو أشد، كحال من قد يحلف بالله كاذبًا لكنه لا يجرؤ أن يحلف بالميت كاذبًا.

- **أمثلة للشرك الأصغر في باب الأفعال:**

تعليق حذاء قديم أو كف لدفع العين، ومنه كل شيء يفعله الإنسان لدفع الأذى أو طرد الشياطين أو الحماية من المرض ونحو ذلك مما لم يجعله الله سببًا ولا ثبت بالعلم والتجربة نفعه، وأما ما ثبت نفعه فلا يضر فعله كالأدوية الطبية في علاج الأمراض.

---

(١) أخرجه أبو داود (ح٣٢٥١)، والترمذي (ح١٥٣٥)، واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.
(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (ح١٨٣٩)، وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيق المسند.

ومثل هذه الأفعال إن اعتقد أنها أسباب تدفع البلاء بإذن الله فهو شرك أصغر، وأما إن اعتقد أنها تدفع البلاء بنفسها فهذا شرك أكبر؛ لأنه نسب شيئًا من التصرف في ملكوت الله إلى مخلوق ضعيف.

❑ رابعًا: حماية النبي ﷺ لجناب التوحيد، وتحذيره من أسباب الشرك:

وذلك بتحريم الأسباب المفضية إليه وإن لم تكن في نفسها شركًا، وإنما هي شرك أصغر أو سبب من أسبابه؛ لئلا يقع المسلم في الشرك الأكبر، ومن ذلك:

- النهي عن قول (ما شاء الله وشئت).
- النهي عن الصلاة عند القبور، فضلاً عن بناء المساجد عليها.
- النهي عن رفع القبور.
- تحريم الصلاة عند طلوع الشمس أو غروبها؛ لأن الذين يعبدونها يسجدون لها حينئذٍ.
- النهي عن الغلو في مدح النبي ﷺ، وفي الصالحين.

❑ الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر:

الشرك الأكبر	الشرك الأصغر
صاحبه خالد مخلد في النار	إن دخل النار فإنه لا يخلد فيها
يحبط جميع الأعمال	يبطل العمل الذي خالطه فقط
مخرج من الملة لأنه ينقض أصل التوحيد	لا يخرج من الملة، لكنه ينقص التوحيد
صاحبه حلال الدم والمال	صاحبه لا يباح دمه وماله
يوجب البراء الكامل منه	يوالى على طاعته ويعادى على معصيته
التوبة منه تكون بالإيمان	التوبة منه تكون بالتوبة من ذلك الذنب

قارن بين أسباب الشرك الأكبر وأسباب الشرك الأصغر

أسباب الشرك الأكبر	أسباب الشرك الأصغر

* * *

الموضوع الثالث: الكفر

يدخل الإنسان في الإسلام بالنطق بالشهادتين، والعمل بمقتضاهما، فإذا ارتكب معصية ضعف إيمانه، فإذا ارتكب ما يضاد الشهادتين فإنه يخرج من الإيمان إلى الكفر، ولخطورة الكفر وجب على المسلم أن يتعرّف حدوده وضوابطه وأنواعه وصوره حتى لا يقع فيه وهو لا يشعر.

❑ أولاً: تعريف الكفر:

- لغة: التغطية والستر، وسمي الكفر كفرًا؛ لأن الكافر يغطي الإيمان والحق بالكفر.

❑ ثانيًا: أقسام الكفر:

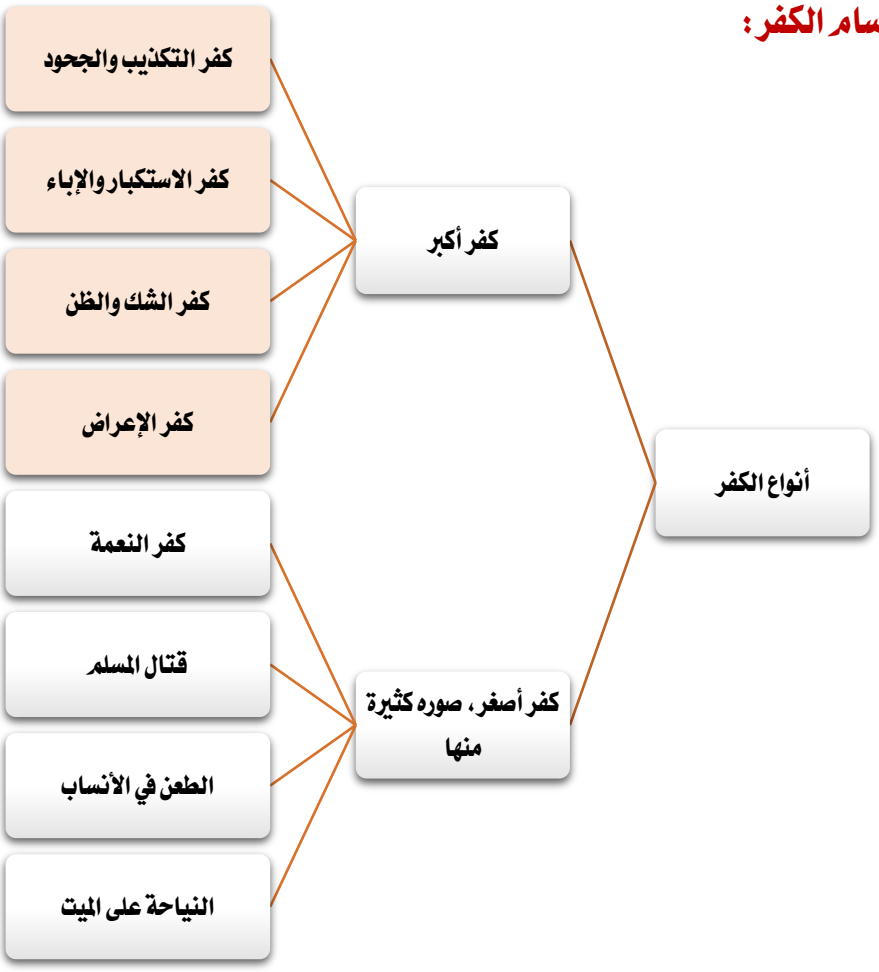

القسم الأول: الكفر الأكبر:

تعريفه: عدم الإيمان بالله تعالى ورسوله مُحَمَّد ﷺ، سواء كان عدم إيمان الشخص لكونه كافرًا أصليًا، أو كونه كان مسلمًا وأتى بما ينقض إيمانه بالله تعالى ورسوله مُحَمَّد ﷺ. وإذا أُطلق لفظ (الكفر) في الكتاب والسنة انصرف إليه، وهو أنواع ورد ذكرها في الأدلة الشرعية.

أنواع الكفر الأكبر:

١- كفر التكذيب والجحود: بأن يجحد نبوة مُحَمَّد ﷺ، أو يكذب بشيء من القطعيات المعلومة من الدين بالضرورة؛ لأنه يكون بذلك مكذبًا لله ورسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٨]. ومن ذلك استباحة ما حرمه الله كشرب الخمر والزنا، أو اعتقد صحة إيمان اليهود والنصارى بعد بعثة النبي ﷺ.

٢- كفر الاستكبار والإباء: وهو أن يصدق بقلبه؛ لكنه يرفض أن ينقاد بجوارحه لأحكام الدين، كحال من عرف الحق من اليهود والمشركين وأصروا على الكفر، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

٣- كفر الشك والظن: وهو الشك فيما يجب الإيمان به، ومثاله ما ذكره الله تعالى في قول صاحب الجنة، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا . وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا . قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً . لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٣٥ - ٣٨]، ومنه الشك في عذاب القبر، أو الشك في كفر اليهود والنصارى، أو الشك في وجود الملائكة، وغير ذلك مما ثبتت به الأدلة الشرعية.

٤- كفر الإعراض: وهو عدم الاهتمام بالإيمان والنظر في الدين، ومثل هؤلاء لا فرق عندهم بين إيمان وكفر، ويقع مثل هذا في الماديين ومن لا تشغلهم إلا شهواتهم، قال تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣].

القسم الثاني: الكفر الأصغر:

تعريفه: كل ذنب كبير أطلق عليه لفظ (كفر) في الكتاب والسنة، وهو لا يصل إلى الكفر الأكبر لأنه لا يناقض أصل الإيمان، وتسميته كفرًا يدل على فحشه، وأنه من كبائر الذنوب، والدليل على كونه ليست كفرًا مخرجًا من الملة أن النبي ﷺ قال: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»(١)، فجعل قتال المسلم كفرًا فإذا جمعناه إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ٩، ١٠] تُبيّن لنا أنه كفر غير مخرج عن الملة؛ لأنه وصف الطائفتين بالإيمان والإخوة ولم يجعل اقتتالهم مخرجًا من الإسلام.

أنواع الكفر الأصغر وصوره كثيرة منها:

- كفر النعمة: بأن لا ينسب النعمة إلى الله تعالى، أو لا يؤدي حق الله فيها، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]، ومنه جحد نعمة الآخرين عليه كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما لما قال النبي ﷺ عن النار: «ورأيت أكثر أهلها النساء» قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: «بكفرهن». قيل: يكفرن بالله؟ قال: «يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأت منك شيئًا قالت: ما رأيت منك خيرًا قط»(٢)، ومن إنكار النعمة انتساب الرجل إلى غير أبيه وهو يعلمه كما في حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر بالله»(٣).
- قتال المسلم: عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «سباب المسلم فسوق وقتاله

(١) أخرجه البخاري (ح٧٠٧٦)، ومسلم (ح٦٤).
(٢) أخرجه البخاري (ح١٠٥٢)، ومسلم (ح٢١٠٩).
(٣) أخرجه البخاري (ح٣٥٠٨)، ومسلم (ح٢١٧).

كفر»[١]، وعن جرير بن عبدالله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»[٢].

- الطعن في الأنساب والنياحة على الميت: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت»[٣].

وعلى سبيل العموم فكل ما سبق ذكره لا يناقض أصل الإيمان بالله ورسوله ﷺ وإن كان ينقصه لأنه يخالف ما أمر الله تعالى به ورسوله ﷺ.

❑ ثالثا: الفرق بين الكفر الأصغر والكفر الأكبر:

وما سبق قوله في الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر يقال في الفرق بين الكفر الأكبر والأصغر.

نشاط

قارن بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر:

الكفر الأكبر	الكفر الأصغر

❑ رابعًا: التكفير وضوابطه:

معنى التكفير: الحكم على أحد بأنه كافر خارج عن الإسلام بسبب وقوعه في مكفر من المكفرات، وفيما يلي تنبيهات تتعلق بهذا الموضوع:

(١) أخرجه البخاري (ح٤٨)، ومسلم (ح٢٢١).
(٢) أخرجه البخاري (ح١٢١)، وأخرجه مسلم (ح٢٢٣).
(٣) أخرجه مسلم (ح٢٢٧).

١- تكفير المسلم بغير بيّنة صحيحة من الذنوب العظيمة؛ لأنه حكم عليه بالخروج من الإسلام والخلود في النار، مع استحلال الدم والمال، وفي حديث أبي ذر ﷺ، قال: قال النبي ﷺ: «لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك»[١].

٢- الجرأة على التكفير خاصة من صغار المتعلمين منكر عظيم، وهو من فعل الفرق الضالة من الخوارج والرافضة الذين لا يتورعون عن تكفير كل من خالفهم.

٣ - يطلق الكفر على الأفعال التي ورد أن فعلها كفر؛ لكن لا يجوز تكفير الفاعل إلا بعد توفر الشروط وانتفاء الموانع؛ وذلك لتفريق الشرع بين الحكم العام وبين تنزيل الحكم على شخص بعينه، فليس كل من وقع في الكفر وقع عليه اسم الكفر.

٤- من موانع تكفير الشخص المعيَّن:

- الخطأ بأن يكون الشخص غير متعمد للفعل كمن سبق على لسانه سب الدين وهو لا يريده.
- الجهل المعتبر كحديث العهد بالإسلام، وكمن نشأ في بيئة يكثر فيها الجهل.
- الإكراه كمن أكره على قول كلمة الكفر ليتخلص من القتل.
- الاعتماد على دليل باطل أو خطأ في التأويل، مثل عدم تكفير الصحابة - رضي الله عنهم - للخوارج مع كونهم كفَّروا عثمانَ وعليًا رضي الله عنهما، واستحلوا دماء المسلمين، واستحلال الدم الحرام كفر؛ لما كان عندهم من التأويل الذي حرفوا به معاني النصوص، واشتبه به عليهم الحق بالباطل.

٥- قول الشخص (لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله) وإتيانه بسائر أركان الإسلام لا يمنع أن يقع في شيء من الشرك بل في الشرك الأكبر، فليس من شرط الكفر أن يكون الشخص تاركًا للعمل، ومثاله من يأتي بأركان الإسلام ومع ذلك يصرف شيئًا من العبادة لغير الله تعالى، فصرفه للعبادة إلى غير الله تعالى شرك أكبر مخرج من الملة ومحبط لجميع عمله إذا قامت عليه الحجة، قال تعالى في حق المشركين: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، فجمع لهم بين

(١) أخرجه البخاري (ح٦٠٤٥)، ومسلم (ح٢١٧).

وصفي الإيمان والشرك؛ فلم ينفعهم إيمانهم شيئًا. ولهذا خاف الأنبياء وهم أعلم الناس بالله تعالى على أنفسهم وأولادهم فقال يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، وقال إبراهيم عند وفاته لبنيه: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ [البقرة: ١٣٣]، وقال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

صور للغلو في باب التكفير:

ونذكر هذه الصور ليعلم المسلم خطر الحكم على الأعيان، وأنه لا يجوز الحكم على أحد بالكفر إلا لمن كان مستحقًا لذلك، والذين يعرفون المستحق لذلك هم أهل العلم؛ فإن الكلام في أعراض الناس حفرة من حفر النار، فمن صور الغلو في باب التكفير:

١- التسرع بتكفير المسلمين بمجرد أن يقع أحدهم في فعل من أفعال الكفر دون التثبت والتحقق من توفر الشروط وانتفاء الموانع.

٢ - عدم التفريق بين الكفر الأكبر والأصغر والتسوية بينهما في الحكم، وهذا منهج الخوارج فإنهم يكفرون مرتكب الكبيرة، وكل من وقع في معصية ورد تسميتها كفرًا في الشرع فهو عندهم كافر خارج من الملة.

٣- تكفير المجتمعات، وتنزيل أحكام المرتد عليهم من استحلال الدماء والأموال.

٤ -عدم عذر الفاعل بجهل أو تأويل.

٥ – التكفير بغير مكفِّر.

ناقش خطورة الغلو في باب التكفير.

* * *

الموضوع الرابع: النفاق

بعد انتصار المسلمين في معركة بدر صارت للمسلمين قوة ومنعة، فبدأت ظاهرة جديدة تطل برأسها ما كانت معروفة قبل ذلك، ألا وهي إظهار بعض مشركي المدينة الإسلام خوفًا من المسلمين، وللطعن في الإسلام والتفريق بين المسلمين، وقد ورد ذكرهم في آيات كثيرة تبين خطرهم وتفضحهم بذكر صفاتهم، ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: ١٤].

❑ أولاً: تعريف النفاق:

- النفاق لغة: مأخوذ من النافقاء، وأصله أن دابة اليربوع يحفر بيته تحت الأرض، ويجعل له مخرجين أحدهما ظاهر والآخر خفي، فإذا طلب من الظاهر هرب من الخفي، والمخرج الخفي يسمى النفاقاء فسمي المنافق منافقًا تشبيها له به؛ لأنه يظهر شيئًا ويخفي خلافه.

❑ ثانيًا: أقسام النفاق:

النفاق نوعان:

- النفاق الأكبر: ويسمى النفاق الاعتقادي:
- النفاق الأصغر: ويسمى النفاق العملي:

النفاق الأكبر: الاعتقادي:

هو إظهار الإسلام وإبطان ما يناقضه أو يناقض بعضه. وهو كفر، وفاعله أسوأ حالاً من المجاهر بكفره لأنه مخادع، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥]، وقد ذكر الله تعالى أهله وذكر صفاتهم في أول سورة البقرة، واستقصى مخازيهم في سورة التوبة،

ومن أسمائها الفاضحة؛ لأنها فضحت المنافقين، ومن مخازي المنافقين وأفعالهم: إبطان الكفر، والاستهزاء بالدين وأهله، وتولي الكفار والتعاون معهم في الخفاء ضد المؤمنين، وسوء الظن بالله تعالى، وكراهيتهم للجهاد في سبيل الله، وصد الناس عن الدين والتحاكم إلى شريعة الإسلام، والفرح بغلبة الكفار على المسلمين. ومن أخلاقهم التي ذكرها الله تعالى: شدة خوفهم وجبنهم، والسفه وخفة العقل، والطمع في الدنيا وإيثارها على الدار الآخرة، واستحواذ الشيطان عليهم، والتذبذب في المواقف، وحدة اللسان ضد المؤمنين.

وفيما يلي بيان صفتين من صفات المنافقين:

١- الاستهزاء بالدين:

أعظم ما يحافظ عليه المسلم دينه، وهو أعظم من النفس والمال، والاستهزاء بشيء من الدين استهزاء بما حقه التعظيم والتوقير، وهو دليل على الاستخفاف به، وهذه الصفة ذكرها تعالى في قوله: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ . وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٤، ٦٥]، وقصة هذه الآيات كما روى ذلك عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً من المنافقين قال: ما رأيتُ مِثلَ قُرَّائِنا هؤلاء، لا أرغَبَ بُطونًا، ولا أكذَبَ ألسِنةً، ولا أجبَنَ عند اللِّقاءِ! فقال رجلٌ في المجلِسِ: كذَبْتَ، ولكنَّك مُنافِقٌ، لأُخبِرنَّ رسولَ اللهِ ﷺ. فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ، ونزل القرآنُ، قال عبدُ الله: فأنا رأيتُه مُتعلِّقًا بِحَقَبِ ناقةِ رَسولِ الله ﷺ تَنكُبُه الحِجارةُ، وهو يقولُ: يا رسولَ اللهِ، إنَّما كنَّا نخوضُ ونَلعَبُ، ورسولُ الله ﷺ يقولُ: «أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون»[(١)] ما يزيده.

فدلت الآية على أن من استهزأ بشيء من الدين أو من المؤمنين أو مظهر من مظاهر الدين كلباس الإحرام أو الطواف بالبيت أو اللحية أو الحجاب أو ترك المحرمات من شرب الخمر أو غض البصر، أو ازدراء طلب العلم، أو حفظ القرآن، أو انتقد الحدود الشرعية، فقد كفر وإن زعم أنه كان يلعب أو أنه لم يقصد السخرية من الدين وأنه موحد يشهد أن لا إليه إلا وأن محمدًا رسول الله؛ لأنه

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١١/٥٤٤)، وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيق تفسير ابن جرير (١٤/٣٣٤).

لو كان إيمانه صحيحًا ما انشرح صدره لمثل هذا الكلام فإن الأعمال الظاهرة تدل على ما في القلب من الإيمان أو النفاق.

٢- سوء الظن بالله سبحانه وتعالى:

وقد وصف الله تعالى المنافقين بسوء الظن به في قوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦] وسوء الظن الذي ظنوه هو أن الله لا ينصر رسوله ﷺ وأن الإسلام سينتهي، وأن ما أصاب المسلمين لم يكن من تقدير الله. وقد يقع مثل هذا في الأوقات التي يظهر فيها الكفار على المسلمين للجهل بالله تعالى وحكمته في خلقه وتدبيره لخلقه وابتلائهم بالسراء والضراء، ومن سوء الظن والجهل بحقائق التاريخ ظن أن المسلمين مكتوب عليهم التأخر والضعف، وأن سبب تأخرهم تمسكهم بالحجاب وبالهدي الإسلامي الظاهر، وأن سبب التقدم الانفتاح الكامل، والاقتداء بالكفار في أخلاقهم وأساليبهم الحياتية، وقد يكون سوء ظنه في خاصة النفس كمن يبتلى بالمرض أو الفقر ويرى غيره من العصاة قد يسر الله أمره ووسع رزقه فيسيء ظنه بالله تعالى وبدينه فيكون حاله كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ . وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ . كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ [الفجر: ١٥ – ١٧]، ويكون كما قال اليهود لموسى عليه السلام: ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٩] وكما قال قوم فرعون: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١]، وكل من وجد في قلبه اعتراضًا على قدر الله تعالى فيما قدره وأن لو كان كذا وكذا؛ فإنه يكون قد وقع في شيء من سوء الظن بالله تعالى والاعتراض على حكمته في قضائه. ومن عرف الله تعالى أيقن أن كل ما يقدره الله تعالى فهو خير، وأنه يقتضي عبودية منه إما صبرًا أو شكرًا، أو إنفاقًا، أو استغفارًا، بحسب ذلك، وفي كل ذلك على العبد أن يتذكر قول الله تعالى في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني»[(١)]،

(١) أخرجه البخاري (ح٧٤٠٥) واللفظ له، ومسلم (ح٦٩٠٢).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

النوع الثاني: النفاق الأصغر: العملي:

هو إظهار شيء على خلاف ما يضمره في شيء لا يرجع إلى أصل الإيمان، وهذا النفاق لا يخرج من الملة، وهو من كبائر الذنوب.

شعب النفاق الأصغر:

وأنواعه كثيرة منها ما ورد في حديث عبدالله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خَلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر»(١)، وفي حديث أبي هريرة ﷺ : «وإذا ائتمن خان»(٢).

الفرق بين النفاق الأصغر والنفاق الأكبر:

النفاق الأكبر	النفاق الأصغر
صاحبه في الدرك الأسفل من النار	إذا دخل النار فإنه لا يخلد فيها
يحبط جميع الأعمال	يبطل العمل الذي خالطه فقط
مخرج من الملة لأن حقيقته إبطان الكفر	صاحبه مسلم مرتكب لكبيرة من الكبائر
صاحبه حلال الدم والمال	صاحبه لا يباح دمه وماله
يوجب البراء الكامل التام	يوالى على طاعته ويعادى على معصيته
لا يكفره إلا الإيمان بالله ظاهرًا وباطنًا	حكمه حكم كبائر الذنوب تُكَفّر بالتوبة، أو بالتطهير في النار، أو يتجاوز عنها أرحم الراحمين.

(١) أخرجه البخاري (ح٣٤)، ومسلم (ح٢١٠) واللفظ له.
(٢) أخرجه البخاري (ح٣٣)، ومسلم (ح٢١٢) واللفظ له.

قارن بين الكفر والشرك والنفاق.

الكفر	الشرك	النفاق

* * *

الموضوع الخامس: تعلق القلب بغير الله

عن النعمان بن بشير ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»[١]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم»[٢] وفي رواية «وأعمالكم»[٣].

فهذان الحديثان يظهران أثر القلب، وعلى العبد أن يفتش في قلبه كيف هو مع الله تعالى، وكيف يحب أن يجد الله قلبه إذا نظر إليه.

وصلاح القلب يقوم على ركنين:

- تغذيته بالمعارف الصحيحة: وهي ما تقدم في أركان الإيمان، ومراقبة الله في السر والعلن، والقيام بعبوديات القلب لله تعالى.

– معرفة مظاهر التعلق بغير الله تعالى ليحذر منها، ويعالج ما قد يكون في قلبه منها.

وفيما يلي استعراض لأهم مظاهر وأنواع التعلق بغير الله تعالى.

من أنواع التعلق بغير الله تعالى:

التعلق بغير الله تعالى أنواع متفاوتة، فقد يكون عبادة لغير الله تعالى، وقد يكون ذريعة وسببًا يؤدي إلى عبادة غير الله، فيما يلي ذكر لبعض صوره:

(١) التبرك غير المشروع: كالتبرك بالأشجار والأحجار والآثار والقبور:

والتبرك بهذه الأشياء سببه اعتقاد أن فيها بركة تنتقل بمجرد لمسها أو القرب منها. وهذا الاعتقاد

---

(١) أخرجه البخاري (ح٥٢).
(٢) أخرجه مسلم (ح٦٥٤٢).
(٣) أخرجه مسلم (ح٦٥٤٣).

باطل لأن البركة لا تثبت في شيء إلا بدليل، وطريقة الانتفاع بما ثبتت بركته يكون بالطريقة التي بيّنها الشرع، ومن أمثلة هذه القاعدة ما يأتي:

- بارك الله في المسجد الحرام استجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام، وبركته في تضعيف الحسنات فيه، وكثرة نفع أرزاق الناس فيه.
- ماء زمزم ماء مبارك، وبركته تكون بكثرة شربه، والدعاء قبل شربه، وليس من بركتها التمسح بأحجار الحرم وأشجاره، أو اعتقاد أنها تنفع أو تضر بذاتها؛ فإن هذا الاعتقاد من الشرك، والبركة إنما كانت فيها بإرادة الله تعالى.
- كان الصحابة رضي الله عنهم يتبركون بآثار النبي ﷺ كتبركهم بريقه وشعراته وفضلة وضوئه ومس بشرته، وعرقه، وأعظم من ذلك الاهتداء بما جاء به من البينات والهدى، لكن لم يثبت عن أحد منهم أنه تبرك بأحد من الناس بعده،، كما لم يثبت عن أحد من التابعين أنه تبرك بآثار أحد من الصحابة – رضي الله عنهم – وهم أفضل الناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فدل على أن التبرك بالآثار خاص بالنبي ﷺ لا يتعداه إلى أحد من بعده، وهذا خلاف فعل الصوفية الذين يتبركون بأوليائهم ومشايخهم، ويقدسون قبورهم ويقدمون لها النذور والقرابين، وقد وجاء النكير على المشركين تبركهم بالأصنام لأنه عبادة لها في الحقيقة، وأنكر النبي ﷺ التبرك بالأشجار لأنه عبادة لها في الحقيقة ففي حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مرّ بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط. فقال النبي ﷺ: «سبحان الله هذا كما قال قوم موسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم»[(١)]، فدلّ هذا على أن الاعتقاد في شيء أنه ينفع أو يضر من دون الله تأليه له في الحقيقة.

(٢) تقديم القرابين والنذور لغير الله:

وهو شرك أكبر؛ لأنه صرف للعبادة لغير الله تعالى، والدليل على كون الذبح والنذر عبادة قول الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ

(١) أخرجه الترمذي (ح٢١٨٠)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ [الحج: ٣٤] وقوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ [الإنسان: ٧] وصورة النذر الشرعي: أن يقول الرجل: إذا شفى الله مريضي؛ فلله علي التصدق بألف. فالناذر يفعل مثل هذا تقربًا إلى الله تعالى ليشفي مريضه، فصرفها الجهال إلى غير الله تعالى من الجن والموتى.

ووقوع مثل هذا في الناس يدل على أهمية سد ذرائع الشرك، وعدم التساهل في ترك هدي النبي ﷺ في القبور؛ لأنها من أعظم مداخل الشيطان التي تؤدي إلى نقض التوحيد من أصله، ونعرف هدي النبي ﷺ من الاحتياط في شأن القبور لئلا تكون وسيلة إلى الشرك من هذا الحديث: عن ثابت بن الضحاك قال: نذر رجل على عهد النبي ﷺ أن ينحر إبلاً ببُوانة[١] فأتى النبي ﷺ فقال إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة، فقال النبي ﷺ: «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟» قالوا لا. قال: «هل كان فيها عيد من أعيادهم؟» قالوا: لا. قال النبي ﷺ: «أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم»[٢].

(٣) التعلق بالصالحين:

والتعلق المنهي عنه يكون في حياتهم وبعد موتهم، فأما في حياتهم فيكون بتقديم طاعتهم على طاعة الله وجعلها طاعة مطلقة وإن كانت مخالفة لشرع الله تعالى، قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، وكان اتخاذهم أربابًا من دون الله بأنهم كانوا يحلون لهم الحرام ويحرمون لهم الحلال فيتبعونهم على ذلك، فجعل طاعتهم في مخالفة الشرع عبادة لهم من دون الله. ويدخل في ذلك متابعة أئمة الضلال فيما يحدثونه من أنواع البدع والضلالات المخالفة للشريعة قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى: ٢١].

---

(١) بوانة: هضبة من وراء ينبع قريبة من ساحل البحر.

(٢) أخرجه أبو داود (ح٣٣١٣)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

وأما من يتعلق بالصالحين بعد موتهم فشبهته أن لهم منزلة عند الله تعالى، وهذه المنزلة تقتضي منه التعلق بهم. ومن صور التعلق المنهي عنه بالصالحين:

- سؤال الله تعالى بجاههم عنده أن يقضي حوائجهم. وهذا لا يجوز لأنه لم يثبت فيه شيء عن النبي ﷺ، والدعاء عبادة يتوقف فيها على ما ورد، وإنما الوارد أن يسأل العبد ربه ويدعوه بأسمائه وصفاته، أو بعمله الصالح أن يقضي حوائجه، وكل ما ورد في الحث على سؤال الله تعالى بجاه النبي ﷺ فهو حديث مكذوب عند أهل العلم، وإذا كان هذا في حق النبي ﷺ الذي هو سيد الخلق؛ فكيف بمن هو دونه في المنزلة؟!
- التوجه للأموات بأن يطلب منهم أن يشفعوا له عند الله تعالى، ولو كان هذا جائزًا لطلبه الصحابة - رضي الله عنهم - من النبي ﷺ بعد موته، كما كانوا يطلبونه منه في حياته، وقبره بينهم؛ فعلم من هذا أن مثل هذا العمل لا يجوز، ولما وقع الجدب خرج عمر بن الخطاب ﷺ بالناس للاستسقاء وقال: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا [يعني نطلب منه الاستسقاء وهو حي فيستسقي لهم فيسقون]، وإنا نتوسل بعم نبينا فاسقنا. قال: فيسقون»[(١)]، والمعنى أن العباس يستسقي لهم فيسقون، ولو كان طلب الدعاء منه جائزا لما عدل عنه عمر ﷺ إلى طلبه من العباس ﷺ.
- مناداتهم وطلب الغوث منهم بأن ينقذوه أو يكشفوا كربته وهم أموات في قبورهم، وهذا ما يسمى بالاستغاثة، وهذا شرك أكبر؛ لأن الاستغاثة دعاء والدعاء عبادة، وصرف العبادة لغير الله شرك أكبر، وقد قال النبي ﷺ لابن عباس ﷺ: «**يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»[(٢)].

(٤) التعلق بالسحرة والمشعوذين والعرافين والمنجمين:

من المقرر أن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، قال تعالى: ﴿**قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**

---

(١) أخرجه البخاري (ح٣٧١٠).

(٢) أخرجه الترمذي (ح٢٥١٦)، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧] أي أنه الله قد يطلع بعض رسله على شيء من الغيب لما في ذلك من الآية على صدقه، وأما غير الرسل فلا يعلمون شيئًا من الغيب، ولا يطلعهم الله عليه، فمن ادعى علم شيء من الغيب فهو كاذب مفترٍ على الله تعالى، والذين يدّعون علم الغيب أنواع منهم السحرة والكهان والمنجمون، وقراء الكف والفنجان، ونحوهم.

وكل هذا من الكفر بالله تعالى، غير أنه **توجد فروق بين السحر والكهانة والتنجيم، فإليك بيان معانيها:**

أولاً: السحر:

- **معنى السحر**: أقوال وأفعال يفعلها الساحر يستعين فيها بالشياطين للتأثير في المسحور.
- **حقيقة السحر**: السحر موجود حقيقة وقد ذكر الله تعالى أن منه ما يكون للتفريق بين الزوجين، ومنه ما يكون تخييلاً كعُصِي سحرة فرعون، وأيًا كان نوع السحر فإنه لا يضر إلا بإذن الله قال تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٢].
- **حكم السحر**: السحر كفر مخرج من الملة، والساحر كافر لقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فلا تكفر﴾ إلى قوله: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]؛ فأثبتت الآيات أنه كفر، وأنه من تعليم الشياطين.
- **طريقة علاج السحر**: تكون بالرقية الشرعية من القرآن والسنة والأدعية، وأما فكه بالسحر فمحرم؛ لأنه علاج لمحرم بمحرم، والله جعل وعلا لم يجعل شفاءنا فيما حرم علينا، كما أن فيه إعانة للكفر بالله تعالى، والواجب على المسلم محاربة السحرة للتخلص من شرهم.

ثانيًا: الكهانة والعرافة ونحوهما:

وحقيقتها على اختلاف أسمائها ادعاء علم ما غاب من الأمور المستقبلية أو ما خفي من الأمور الماضية كمعرفة مكان شيء مفقود بالنظر في النجوم واستخدام الشياطين والتقرب إليهم بطاعتهم فيما يأمرون به.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣]، وعن أبي هريرة ﷺ أن نبي الله ﷺ قال في حديث الوحي: «فيسمعها مسترق السمع، ومسترقو السمع هكذا بعضه فوق بعض فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدرك الشهابُ قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مئة كذبة. فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء»(١).

ثالثا: التنجيم:

وحقيقته ادعاء أن النجوم لها تأثير في ما يقع على الأرض من تقلب الأحوال، ونزول الأمطار والخصب والجدب، ومزاج الإنسان، وما يقع عليه من أفراح وأحزان ورزق ومصائب وزواج وولد، وحياة وموت، وذلك بأن ينظر المنجم في النجوم ثم يخبر بما يزعم أنه سيقع في المستقبل على الأرض أو على شخص بعينه، ومنه ما يعرف في زماننا بقراءة الأبراج.

حكم التنجيم:

- إذا اعتقد المنجّم نسبة التأثير للنجوم، فقد أشرك شركًا أكبر لأنه جعلها خالقة من دون الله، متصرفة في الكون بإرادتها ومشيئتها، والنجوم ما هي إلا خلق من خلق الله تجري بأمره وخلقها لحِكَم ذكرها في كتابه، وهي كونها رجومًا للشياطين الذين يسترقون السمع، وزينة للسماء، وعلامات يهتدي بها الناس في ظلمات البر والبحر، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ

(١) أخرجه البخاري (ح٤٨٠٠).

﴿لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧]، أي يعرف بها الوقت والجهات، وقال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ . وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾ [الصافات: ٦، ٧] فمن ادعى فيها غير ذلك فقد كذب.

- وإذا لم يعتقد أنها تؤثر بنفسها لكنه يزعم أنه يستدل بحركتها على ما سيقع؛ فهو شرك كذلك؛ لأن فيه ادعاء للغيب، وقد نفاه الله تعالى. وقال النبي ﷺ: «من اقتبس علمًا من النجوم؛ اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»(١).

حكم الذهاب للكهان والعرافين والمنجمين:

بما أن ادعاء علم الغيب شرك أكبر فإن الذهاب إلى من يدعيه محرم، ومن صدقهم في دعواهم علم الغيب فقد كفر، قال ﷺ: «من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على مُحَمَّد»(٢).

(٥) الرقى والتمائم ولبس التعاويذ:

- **الرقى:**

- كلام يقال على المصاب طلبًا للشفاء، وهي معروفة قبل الإسلام.

- **حكمها:** يختلف حكمها بحسب الكلام الذي يقال فيها، وبحسب ما يعتقده الراقي، والجائز منها ما اجتمعت فيه الشروط التالية:

١- أن تكون من الكتاب أو السنة، أو بأسماء الله وصفاته، أو الأدعية الصحيحة.

٢- أن تكون بلغة يفهمها الراقي، ويعرف معنى الكلام الذي يقوله، وتكون معانيها صحيحة.

٣- أن يعتقد كل من الراقي والمرقي أنها لا تؤثر بذاتها وإنما بإذن الله عز وجل.

ودليل جوازها: أن جبريل عليه السلام رقى النبي ﷺ، ورقى النبي ﷺ ورقى أصحابه رضي الله عنهم وأقرهم عليها، وأمرهم بها، وأحل أخذ الأجرة عليها. عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: كنا نرقي في الجاهلية

(١) أخرجه أبو داود (ح٣٩٠٥) واللفظ له، وابن ماجه (ح٣٧٢٦)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود.
(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (ح٩٥٣٦) واللفظ له، وأبو داود (ح٣٩٠٤)، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند: حسن، رجاله ثقات رجال الصحيح.

فقلنا: يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: «اعرضوا علي رقاكم. لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك»[(١)].

- **طريقة الرقية**: إما أن يقرأ عليه ثم ينفث عليه، أو يقرأ في ماء ويسقيه المريض، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول في الرقية: «بسم الله، تربة أرضنا وريقة بعضنا يُشْفَى سقيمنا بإذن ربنا»[(٢)].

الرقى الممنوعة:

إذا عرفنا شروط الرقى الشرعية فيمكن أن نقول في أنواع الرقى الممنوعة ما يلي:

١ ـ ما كان فيها شرك من استعانة بغير الله تعالى أو دعاء له؛ من الأموات أو الشياطين.

٢ ـ أن تكون بلسان غير معروف، أو بكلام معروف في أصله لكنه غير مفهوم المعنى، فمثل هذه الرقى لا تجوز خشية أن يكون فيها محذور شرعي.

- **التمائم:**

- وهي جمع تميمة، وهي ما يعلق في العنق أو اليد أو توضع في البيت أو المركب؛ لدفع ما يؤذي من عدو أو عين أو حسد أو غير ذلك، أو تكون لجلب الحظ.

- حكمها: إذا كانت من غير القرآن الكريم أو الأدعية والأذكار الصحيحة؛ فهي شرك، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقى والتمائم والتِّوَلَة شرك»[(٣)] قالت امرأة ابن مسعود له: لقد كانت عيني تقذف، فكنت اختلف إلى فلان اليهودي يرقيني، فإذا رقاني سكنت. فقال عبدالله: إنما ذلك عمل الشيطان كان ينخسها بيده فإذا رقاها كف عنها، وأما إن كانت تشتمل على آيات قرآنية وأدعية صحيحة، فقد اختلف الصحابة – رضي الله عنهم – في جوازها، والأكثر على منعها. والأولى بالمسلم اجتنابها؛ لأنها تشتبه بالتمائم الشركية، وقد تتسبب في الوقوع في التمائم الشركية بعد ذلك، كما أن تعليقها يؤدي إلى امتهان الآيات وأسماء الله الحسنى، وعلى

(١) أخرجه مسلم (ح٦٧٣٢).
(٢) أخرجه البخاري (ح٥٧٤٦).
(٣) أخرجه أبو داود (ح٣٨٨٣)، وابن ماجه (ح٣٥٣٠)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

القول بجوازها فيلزم المسلم المحافظة عليها واعتقاد أنها سبب لا ينفع ولا يضر بذاته وإنما النفع والضر بيد الله وحده، فإن اعتقد فيها النفع والضر بذاتها؛ فيكون قد وقع في الشرك الأصغر.

- **التعاويذ:**

– وهي ما يوضع من الحلقة أو الخيط أو الحذاء ونحو ذلك لرفع البلاء أو دفعه

ففي حديث عمران بن حصين ﷺ أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صفر فقال: «**ما هذه الحلقة؟**» قال: هذه من الواهنة. قال: «**انزعها؛ فإنها لا تزيدك إلا وهنًا**»[(١)]، زاد في المسند «**فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا**»[(٢)]، ومثل هذا الفعل إن اعتقد أنه سبب لدفع البلاء بإذن الله فهو شرك أصغر، وأما إن اعتقد أنه يدفع البلاء بنفسه فهو شرك أكبر؛ لأنه نسب شيئًا من التصرف في ملكوت الله إلى مخلوق لا يملك نفعًا ولا ضرًا.

(٦) التطير:

– معناه: أن يقدم الشخص على فعل شيء أو تركه بسبب شيء رآه أو كلمة سمعها.

وسبب تسميته تطيرًا أن أهل الجاهلية كانوا إذا طار الطائر عن اليمين تفاءل الواحد منهم بذلك وأقدم على الفعل، وإذا طار عن يساره تشاءم وترك الفعل؛ فسمي تطيرًا نسبة إلى الطير.

حكمه: هو من الشرك لحديث عبدالله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**الطيرة شرك. الطيرة شرك. الطيرة شرك**»[(٣)]، وعن معاوية بن الحكم السلمي ﷺ أنه سأل الرسول الله ﷺ: ومنا أناس يتطيرون؟ قال: «**ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدهم**»[(٤)]، والتطير من أفعال المشركين قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ [النساء: ٧٨]، وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل. الكلمة الحسنة الكلمة الطيبة**»[(٥)].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (ح٣٥٣١)، وجوَّد إسناده ابن باز في فتاوى نور على الدرب (٣٨٣/١).
(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (ح٢٠٠٠٠)، وجوَّد إسناده ابن باز في فتاوى نور على الدرب (٣٨٣/١).
(٣) أخرجه أبود داود (ح٣٩١٠) واللفظ له، والترمذي (ح١٦١٤)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.
(٤) أخرجه مسلم (ح٥٣٧).
(٥) أخرجه البخاري (ح٥٧٥٦)، ومسلم (ح٥٨٠٠).

وسبب كون التطير من الشرك أن فيه نسبة للنفع والضر إلى غير الله تعالى، وذلك أنه يدخل قلب المسلم من ذلك هم وكراهية للفعل؛ فيتركه، فعلى المسلم أن لا يلتفت بقلبه إلى مثل هذا ويدفعه، ويقدم على الفعل الذي عزم عليه مستعينًا متوكلاً على الله تعالى. ولأحمد من حديث عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما–: من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك. قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: «أن تقول اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك»[1]، وقال ﷺ عن الطيرة: «أحسنها الفأل ولا ترد مسلمًا فإذا رأى أحدكم أحدًا ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك»[2].

تنبيه: الهدي النبوي لمن أراد فعل شيء أن يحرص على ما ينفعه ويستشير ويستخير ثم يستعين بالله تعالى ويتوكل عليه عند الفعل، ويستبشر بالفأل وهو الكلمة الطيبة يسمعها على نجاح ما أراد من باب حسن الظن بالله تعالى لا من باب أن الكلمة هي سبب نجاحه.

(٧) التوكل على غير الله تعالى والتعلق بالأسباب:

أولاً: الشرك في التوكل:

– التوكل لغة: الاعتماد، تقول: وكلت أمري إلى فلان أي اعتمدت عليه فيه.

– وشرعًا: صدق الاعتماد على الله في جلب المنافع ودفع المضار.

– منزلته: من أعلى مراتب العبادة قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، فجعل التوكل على الله تعالى شرطًا في الإيمان، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]، فوصف المؤمنين بثلاثة مقامات من مقامات الإيمان الحق وهي: الخوف وزيادة الإيمان والتوكل على الله تعالى وحده. وقال تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾ [المزمل: ٩]، وقال: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (ح٧٠٤٥)، وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيق المسند.
(٢) أخرجه أبو داود (ح٣٩١٩)، وقال الشوكاني في نيل الأوطار: مرسل (٣٧٣/٧).

﴿شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣]. ولذا فكلما زاد وقوي التوكل قوي إيمان العبد.

وحقيقة التوكل أن يفعل الإنسان أقصى ما يستطيع من الأسباب المادية لتحقيق مراده من جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، ثم لا يعتمد عليها بقلبه لعلمه أنها أسباب قد تنجح وقد لا تنجح فيتعلق قلبه بالله تعالى خالق الأسباب والذي بيده ملكوت كل شيء.

وعليه فليس من التوكل: اعتماد القلب على الله دون بذل الأسباب، فهذا شأن الكسالى وضعاف العقول، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]، وليس من التوكل بذل الأسباب والاعتماد عليها؛ لأن الأسباب مخلوقة مثله إن شاء الله تعالى تعطيلها تعطلت: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]، وكم من أرض أمطرت فلم تنبت، وكم من شخص بذل جميع ما يستطيع من التحصن من المرض فمرض، أو استعد لسفر فخاب سفره، وغير هذا كثير.

حكم التوكل على غير الله تعالى:

وبهذا المعنى للتوكل وهو تعلق القلب بالله تعالى يكون حكم التوكل على غيره سبحانه وتعالى على النحو التالي:

- التوكل على المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى شرك أكبر؛ لأنه تسوية بين المخلوق والخالق.

- التوكل على المخلوق في شيء يقدر عليه شرك أصغر، وما تعلق أحد بمخلوق وتوكل عليه إلا خاب ظنه فيه.

ثانيًا: الاعتماد على الأسباب المادية:

وهذا الاعتماد قادح في التوكل؛ لأن حقيقة التوكل بذل الأسباب دون الاعتماد عليها.

وسبب التعلق بالأسباب الجهل بالله تعالى وغلبة النظرة المادية، وعلامة الإصابة بهذا المرض أن يكون مدار فرح القلب وحزنه وعلامة الربح والخسارة ما يحصله أو يفوته من متاع الحياة الدنيا، دون اهتمام بما يحصله من الأعمال الصالحة وما يفوته منها، أو ما يقع فيه من الزلل أو يسلم منه.

وفي هذا التعلق أنواع من ضعف الإيمان مثل انصراف القلب إلى غير الله تعالى، وعبودية القلب للأسباب المادية، ونسبة الأفعال إلى الأسباب وحدها، فالشفاء بسبب جودة الدواء، والمرض بسبب ضعف المناعة، وسرعة الإنجاز بسبب جودة الصناعة، والفشل بسبب عدم توفر جميع الإمكانات المادية، وهكذا. كما أن في التعلق بالأسباب يصاحبه عادة تهاونًا في العبادات، وضعفًا في العمل للدار الآخرة، وقسوة في القلب، وجمودًا في العين. ومن قرأ كتاب الله تعالى عرف أين هذا من أخلاق المتقين الذين يعلمون حقيقة الدنيا وأن من ورائها حياة أبدية ينبغوا أن يسابقوا إليها: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا . وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨، ١٩]، ويعلمون أن الدنيا دار ابتلاء واختبار قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [الكهف: ٧]، فيختلف حالهم عن حال غيرهم قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا . إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا . وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا . إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾ [المعارج: ١٩ – ٢٢]، فيعيشون حياة طيبة لا يكدرها نكد الحياة ومصائبها، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ . الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآَبٍ﴾ [الرعد: ٢٨، ٢٩]، وهم في كل أحوالهم في عبادة لله تعالى «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له»[(١)].

أسباب التعلق بغير الله:

يمكن أن نستجلي أسباب التعلق بغير الله تعالى من خلال ما سبق، ومن ذلك:

- الجهل بالله تعالى.
- ضعف الإيمان، ومنه ضعف التعلق بالله تعالى.
- طغيان الحياة المادية.
- ضعف مراقبة النفس ومجاهدتها على الاستقامة على الدين.

(١) أخرجه مسلم (ح٧٥٠٠).

- المبالغة في حب الصالحين والتعلق بهم حتى يخرج إلى ما لا يجوز من الطاعة المطلقة والتسليم الكامل.
- المخالفات الشرعية المتعلقة بالقبور.

م	أسباب التعلق بغير الله	العلاج
١	الجهل بالله تعالى	
٢	ضعف الإيمان	
٣	طغيان الحياة المادية	
٤	ضعف مراقبة النفس	
٥	المبالغة في حب الصالحين	
٦	المخالفات الشرعية المتعلقة بالقبور	

* * *

ملف الإنجاز:

(١) صمم بحثًا عن التكفير وأسبابه، وضوابطه، وخطورته على الفرد والمجتمع.

(٢) صمم خريطة ذهنية تقارن فيها بين الكفر والشرك والنفاق.

(٣) صمم بحثًا عن المنافقين في التاريخ الإسلامي.

مصادر التعلم:

(١) الاستهزاء بالدين أحكامه وآثاره، أحمد بن مُحَمَّد القرشي.

(٢) منهج ابن تيمية في مسألة التكفير، عبد المجيد بن سالم بن عبد الله.

(٣) نور الإيمان وظلمات النفاق في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن على بن وهف القحطاني.

(٤) ضوابط تكفير المعين عند شيخ الإسلام ابن تيمية، أبو العلا بن راشد بن أبي العلا الراشد.

(٥) عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها أو ينقصها من الشرك الأكبر أو الأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك، صالح بن فوزان الفوزان.

(٦) التكفير جذوره أسبابه مبرراته، نعمان عبد الرزاق السامرائي.

(٧) العذر بالجهل تحت المجهر الشرعي، أبي يوسف مدحت بن الحسن آل فراج.

(٨) النفاق وأثره في حياة الأمة دراسة تأصيلية تطبيقية في القرآن والسنة، السيد أحمد جمعة حسن سلاّم.

التقويم:

(١) وضح المقصود بالشرك، وأنواعه، وأسباب الوقوع فيه.

(٢) قارن بين الكفر والشرك والنفاق.

الوحدة الرابعة

السنة والبدعة

أهداف الوحدة:

يتوقع من الدارس بعد إنهائه لهذه الوحدة أن:

١- يشرح مفهوم التمسك بالسنة النبوية.

٢- يناقش وجوب التمسك بالسنة النبوية.

٣- يستشعر أهمية التمسك بالسنة النبوية.

٤- يشرح حديث الافتراق في هذه الأمة.

٥- يوضح فضائل أهل السنة والجماعة.

٦- يناقش الخصائص الأخلاقية والسلوكية لأهل السنة والجماعة.

٧- يوضح معنى البدعة لغة واصطلاحًا.

٨- يوضح حكم البدعة.

٩- يناقش أسباب ظهور البدع.

١٠- يوضح آثار البدع.

١١- يناقش منهج السلف في التعامل مع البدع.

مفردات الوحدة:

الموضوع الأول: السنة

الموضوع الثاني: البدعة

عدد المحاضرات:

الدبلوم: (١٢) محاضرة.

الدبلوم العالي: (٦) محاضرات.

تمهيد:

كان رسول الله ﷺ يقول في خطبه: «**أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي مُحَمَّد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**»(١)، ووعظ ﷺ أصحابه يومًا موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، وذكر لهم ما سيق من الافتراق في الأمة وبيّن لهم المخرج منها بقوله: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، فتمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»(٢) وذكر النبي ﷺ لهذا في خطبه وفي موعظته في آخر حياته دليل على عظم هذا الأصل، وأن طريق وحدة المسلمين وقوتهم، ونحن في هذه الوحدة سنتعرف على منزلة السنة من الدين، ولزوم التمسك بها، ومعرفة معنى البدعة وخطورتها وأسباب وقوعها.

---

(١) أخرجه مسلم (ح١٤٤١).

(٢) أخرجه أبوداود (ح ٤٦٠٧)، وأخرجه ابن حبان (ح٥)، وحسن إسناده ابن باز في مجموع فتاوى ابن باز (١٠٩/١٦).

الموضوع الأول: السنة

❑ أولاً: معنى السنة:

السنة لغة: السيرة والطريقة سواء كانت حسنة أو قبيحة، ويكثر استعمالها في الطريقة الحسنة كما في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء: ٢٦] يعني طرائقهم الحميدة.

السنة اصطلاحًا: في اصطلاح العلماء يختلف معناها بحسب العلم الذي تستعمل فيه، وهي في اصطلاح أهل الاعتقاد تقابل معنى البدعة، ومعناها عندهم: الطريقة التي كان عليها النبي ﷺ وأصحابه من بعده السالمة من الشبهات والشهوات. فهذه السنة هي التي يمدح متبعها ويذم من خالفها.

❑ ثانيًا: وجوب التمسك بالسنة:

أمر الله تعالى باتباع صراطه المستقيم، ونهى عن اتباع السُّبل وهي كل ما خالفه فقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، واتباع الصراط المستقيم لا يكون إلا بالتمسك بما كان عليه النبي ﷺ ظاهرًا وباطنًا، وبالتمسك بما كان عليه أصحابه من المهاجرين والأنصار من بعده، فبعد أن ذكر النبي ﷺ ما يكون بعده من الاختلاف الكثير، دلّ أصحابه على طريق السلامة من ذلك الاختلاف بقوله: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[(١)].

وقد جاء في عدد من الأحاديث عن النبي ﷺ أن اليهود افترقت على إحدى وسبعين فرقة،

(١) أخرجه الترمذي (ح٢٦٧٦)، وأبو داود (ح٤٦٠٧)، وحسن إسناده ابن باز في مجموع فتاوى ابن باز (١٠٩/١٦).

وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، ووصف هذه الفرقة الناجية في بعض تلك الأحاديث بقوله: «وهي الجماعة»، وبقوله: «ما أنا عليه وأصحابي»[1] فمن استمسك بما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم؛ فهو من أهل السنة، ومن جماعة المسلمين، ومن الفرقة الناجية يوم القيامة من عذاب الله تعالى.

❑ ثالثًا: وقوع الافتراق في الأمة:

ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الإخبار عن وقوع الافتراق في هذه الأمة، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥]، ومعنى (يلبسكم شيعًا) يعني: يخلطكم فرقًا ويبث فيكم الأهواء المختلفة. وقد سأل النبي ﷺ ربه أن لا يسلط بعض الأمة على بعض؛ فلم يجبه إلى ذلك[2]، وقد وقع هذا الافتراق وتسلط بعض المسلمين على بعض وسيقع كما أخبر الله تعالى.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦] قال ابن عباس ب: تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف، وتسود وجوه أهل البدعة والتفرق.

وقد وقع التفرق والاختلاف والاقتتال بين المسلمين، وظهرت فيهم الأهواء، وطريق النجاة من ذلك لزوم السنة، وهي التمسك بما كان عليه النبي ﷺ والخلفاء الراشدون من بعده رضي الله عنهم، ومن لزم سبيلهم فهو من أهل السنة والاجتماع، ومن خالفهم فهو من أهل البدعة والافتراق.

❑ رابعًا: فضائل أهل السنة والجماعة:

١- أعظم فضيلة لهم أنهم هم أهل السنة، وجماعة المسلمين، والجماعة لا تلازم الكثرة، فقد تكون جماعة المسلمين قليلة في بعض الأزمنة كما كان المستضعفون من المسلمين بين المشركين، والعبرة

(١) أخرجه الترمذي (ح٢٦٤١)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي.
(٢) أخرجه مسلم (ح٢٨٩٠).

في الجماعة بموافقة الحق وإن كنت وحدك كما قال عبدالله بن مسعود ﷺ. وقال نعيم بن حماد: إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد، وإن كنت وحدك؛ فإنك أنت الجماعة حينئذ. وليس معنى هذه الأقوال أن يشذ إنسان عن جماعة المسلمين في فهمه أو سلوكه ويدعي أنه على الحق وأنه هو الجماعة، ويزعم أن سواد المسلمين على ضلال، فإنه بمثل هذه الشذوذات تظهر الأهواء والبدع.

٢- هم الطائفة المنصورة فعن معاوية ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس**»(١).

٣- هم الغرباء عند فساد الزمان فعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ غريبًا؛ فطوبى للغرباء**»(٢)، وسأل عبدالله بن عمرو ﷺ رسولَ الله ﷺ فقال: من الغرباء يا رسول الله؟ فقال: «**أناس صالحون في أناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم**»(٣).

٤- هم أهل نعمة الله تعالى وكرامته في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾ [النساء: ٦٩]، فمن آمن بالله واتبع سنة نبيه ﷺ؛ فإنه ممن أنعم الله عليه، وكان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ولا رفقة أحسن من هؤلاء.

❑ خامسًا: الخصائص المنهجية والسلوكية لأهل السنة والجماعة:

١- الاعتصام بالكتاب والسنة، لأنهما الحق الكامل كما قال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ [المائدة: ٣] ويرجعون إليهما عند التنازع، ولا يُقَدّمون عليهما عقلاً أو عرفًا أو ذوقًا، ولا يعارضون الأخبار أو الأوامر والنواهي بشيء وإنما

(١) أخرجه البخاري (ح٣٦٤١)، ومسلم (ح٤٩٥٥) واللفظ له.
(٢) أخرجه مسلم (ح٣٧٢).
(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (ح٦٦٥٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (ح٣٩٢١).

يسلمون لهما التسليم الكامل، وامتدح الله تعالى حال المؤمنين المتبعين فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢]، وأُثِرَ عن عدد من السلف قولهم: من الله التنزيل، وعلى رسوله البلاغ، وعلينا التسليم.

٢- يحتجون بما صحّ من أخبار الآحاد في الاعتقاد والأحكام، ولا يفرقون بينهما.

٣- يعتقدون أن الصحابة ﷺ أعلمَ الناس بعد النبي ﷺ في الاعتقاد والأحكام؛ لأن الوحي نزل بلسانهم، وقد شاهدوا التنزيل، وخالطوا النبي ﷺ وسألوه عما أشكل عليهم، مع ما كانوا عليه من الفهم والديانة.

٤- يحتجون بفهم الصحابة ﷺ في الاعتقاد لأنهم متفقون عليها، ولم يختلفوا إلا في مسائل معدودة كانت الأدلة فيها محتملة مثل مسألة رؤية النبي ﷺ لربه.

٥- وسط بين الطوائف والفرق، لا يميلون إلى إفراط أو تفريط، أو غلو أو جفاء.

٦- ثابتون على منهجهم، يتبع اللاحق منهم السابق، فلا تتغير أقوالهم على اختلاف الأزمان، بخلاف غيرهم من الفرق فإنهم يختلفون فيما بينهم، وتختلف أقوال متأخريهم عن أقوال متقدميهم، وربما ضلل بعضهم بعضا وكفّره.

٧- لسلامة مصادر أهل السنة في التلقي، وسلامة منهجهم في الفهم؛ فإنهم الأقرب إلى العقول السليمة والفطرة السويّة، وأقوالهم لها نفاذ في قلوب الناس على اختلاف مستوياتهم، ولا يجد العامي أو المتعلم صعوبة في فهم أقوالهم.

٨- يجمعون بين العلم والعدل، ويهدون الناس إلى الصراط المستقيم؛ لأنهم متبعون للنبي ﷺ قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا

تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨]، وهذا منهج أهل السنة مع موافقيهم ومخالفيهم من الكفار والمبتدعة، ويلزم من ذلك التثبت في نقل الأقوال، والتمييز بين المعذور وغيره، وبين من له سابقة في الإسلام ومتبع الهوى.

٩- أرحم الناس بالناس، يحبون لهم الخير ويدلونهم عليه، ويصبرون في دعوتهم على الأذى؛ لأنهم حملة ميراث النبوة علمًا وعملاً، فكما أنهم ورثوا علم النبوة؛ فإنهم يبلغونها على منهاج النبوة.

١٠- يحبون المتمسكين بالكتاب والسنة، ويبغضون أهل الأهواء والبدع.

١١- يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لأدلة كثيرة منها حديث عبدالله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل**»[(١)]، وبذلك استحقوا أن يكونوا خير أمة أخرجت للناس.

١٢- يتمسكون بمكارم الأخلاق، ومن تتبع سير عامة أهل السنة يجد أنهم أكمل المؤمنين إيمانًا، وأحسنهم أخلاقًا؛ يأمرون بصلة من أمر الله به أن يوصل، ويعطون من حرمهم، ويصلون من قطعهم، ويعفون عمن ظلمهم، ويأمرون ببر الوالدين، وحسن الجوار، والإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل، وينهون عن مساوئ الأخلاق من الفخر والخيلاء والبغي وأنواع الظلم، ويقومون بحق النصيحة.

١٣- يحافظون على الجماعة وائتلاف القلوب، ويطيعون من ولاه الله أمرهم بالمعروف، وأما ما يقع بينهم من اختلاف في المسائل العلمية، فيتناقشون فيه بحسب الدليل مع بقاء الألفة بينهم.

١٤- ولاؤهم للحق وحده؛ عليه يوالون، وعليه يعادون، فالناس عندهم سواسية لا طبقيَّة بينهم، ولا أفضليَّة لعرق على آخر، وإنما يتفاضل الناس عندهم بالتقوى.

---

(١) أخرجه مسلم (ح١٧٩).

عدِّد بعض السنن المهجورة التي غفل عنها كثير من الناس:

م	السنة

ناقش أثر التمسك بالسنة على الفرد والمجتمع:

أثر التمسك بالسنة على الفرد	أثر التمسك بالسنة على المجتمع

الموضوع الثاني: البدعة

❑ أولاً: معنى البدعة:

البدعة في اللغة: الاختراع على غير مثال سابق، كقوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧] أي مخترعهما على غير مثال سابق.

البدعة في الاصطلاح: طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه، أي أنها إحداث في الدين وزيادة، وليس عليه دليل من الشرع.

❑ ثانيًا: أقسام البدعة:

تنقسم البدعة إلى نوعين:

الأول: إحداث ما لا أصل له في الدين مطلقًا:

كاختراع عبادة جديدة، والتقرب إلى الله بما لم يجعله قربة كالاحتفالات أو الوقوف في الشمس، أو تحريم بعض الطيبات، ويدخل فيها سائر العقائد المنحرفة عن دين الإسلام.

الثاني: أن تكون العبادة مشروعة في أصلها لكن يزيد عليها شيئًا لم يرد به الشرع:

كجعل المغرب أربع ركعات، أو جعل كيفيات خاصة لذكر الله كالأصوات الجماعية، أو تخصيص أيام في السنة بعبادات خاصة، كتخصيص ليلة النصف من شعبان بقيام أو صيام؛ فالصلاة والصوم مشروعان لكن البدعة في تخصيصهما بهذا الوقت، ووجه البدعة هنا أنه بهذا التخصيص يعتقد الفاعل أن الصلاة والصيام في هذا الوقت لهما فضيلة خاصة وإلا لم يكن لهذا التخصيص معنى. وأكثر وقوع الناس في هذا النوع من البدعة؛ لأنهم ينظرون إلى كون العبادة مشروعة في الأصل، وإنما صارت بدعة بسبب الكيفية أو الحالة التي احتفت بها.

ناقش مع زملائك: أي النوعين أخطر ولماذا؟

عدد صور البدعة المنتشرة في بعض المجتمعات:

بدع النوع الأول	بدع النوع الثاني

❑ ثالثًا: حكم البدعة:

عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد**»[(١)]، أي مردود فهذا يدل على ذم البدعة، وأن البدعة تكون في الدين أي أن أمور الدنيا لا تدخلها البدعة، وعن جابر بن عبدالله ﵄ أن النبي ﷺ كان يقول في خطبته: «**وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة**»[(٢)]، فلا توجد بدعة شرعية مقبولة، ومما يزيد البدعة إثمًا دعوة الناس إليها؛ فيتحمل الداعي بذلك إثمه وإثم من يقتدي به، فعن جرير بن عبدالله ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن يَنْقُصَ من أجورهم شيءٌ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**»[(٣)].

(١) أخرجه البخاري (ح٢٦٩٧)، ومسلم (ح١٧١٨).
(٢) أخرجه مسلم (ح٨٦٧).
(٣) أخرجه مسلم (ح٢٣٥١).

والبدع مع هذا متفاوتة في فحشها ونكارتها، فمنها ما هو كفر كالذبح لغير الله، والطواف بالقبور والذبح لها، ومنها ما هو من وسائل الشرك كالبناء على القبور والصلاة والدعاء عندها.

وأما ما ورد في بعض الآثار من تسمية بعض الأعمال بالبدعة الحسنة، فالمقصود المعنى اللغوي أي أنها شيء جديدة حسن لا أنها زيادة في الدين حسنة، ومن ذلك جمع الناس في صلاة التراويح في زمن عمر بن الخطاب ﷺ على إمام واحد، فقد كان الناس يصلون قبل ذلك جماعات أو فرادى، وجمعهم على إمام واحد ليس إحداثًا في الدين؛ لأن صلاة التراويح جماعة فعلها النبي ﷺ.

❑ رابعًا: أسباب ظهور البدع:

إذا كان الاعتصام بالكتاب والسنة سبب النجاة من البدع والافتراق؛ فإن الإعراض عن الكتاب والسنة أعظم سبب للوقوع في البدعة والافتراق، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فمن ترك الكتاب السنة؛ فإنه سيتبع السبل لا محالة، فعن ابن مسعود ﷺ، قال: خط رسول الله ﷺ خطًا بيده ثم قال: «هذا سبيل الله مستقيمًا». قال: ثم خط عن يمينه وشماله، ثم قال: «هذه السبل، ليس منها سبيل إلا عليه شيطان

يدعو إليه»[1]، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

والإعراض عن الكتاب والسنة إما بعدم الاحتجاج بهما في بعض المجالات والأحكام، أو إنكار حجية السنة مثلاً، أو فهمهما فهمًا منحرفًا، وعلى سبيل الإجمال فإن من أسباب الإعراض عن الكتاب والسنة ما يلي:

١- **الجهل بأحكام الدين**: فعن عبدالله بن عمرو بأن النبي ﷺ قال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالمًا، اتخذ الناس رؤوسًا جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»[2] فإذا مات العلماء لم يوجد في الناس من يعلمهم ويدفع الضلال عنهم؛ فتدخل عليهم الفتن والضلالات من كل جانب.

٢- **اتباع الهوى**: فمن أعرض عن الكتاب والسنة فسيتبع هواه لا محالة، قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣].

٣- **التعصب للآراء والأشخاص**: قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٧٠]، ومن ذلك معارضة الكتاب والسنة بقول فلان أو فلان، أو بما عليه شيخ الطريقة، أو أعراف الناس.

٤- **التشبه بالكفار وتقليدهم والتلقي عنهم**: وهذا من أخطر الأسباب لأنه قد يؤثر في الشخص وهو لا يشعر، ويحصل هذا بسبب كثرة المخالطة مع قلة العلم، أو بسبب التساهل، فعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط. فقال النبي ﷺ: «سبحان

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (ح٤٤٣٧)، وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيق المسند.
(٢) أخرجه البخاري (ح٧٣٠٧)، ومسلم (ح٦٧٩٦) واللفظ له.

الله هذا كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم»[1]، وكثير من البدع إنما دخلت على المسلمين بسبب مخالطتهم للكفار أو القرب منهم، وفي زماننا هذا بسبب انتشار ثقافتهم في بلاد المسلمين عن طريق الإعلام والسفر إلى بلادهم.

٥- **الاعتماد على الأحاديث الواهية والموضوعة**: فإن بعض البدع وردت فيها أحاديث لكنها ضعيفة جدًا، ومثل هذه الأحاديث لا يجوز الاعتماد عليها.

٦- **فهم الآيات والأحاديث فهمًا يخالف قواعد العربية**، ويحمل الكلام على معانٍ ضعيفة، ثم التعسّف في فهم باقي الأدلة لتوافق هذا الفهم المنحرف، وصاحب هذا المسلك يعتقد الشيء ثم يبحث عن الأدلة التي يمكن أن تدلّ على رأيه، ويتعسّف في ردّ ما خالف رأيه.

❑ خامسا: آثار البدع:

١- سبب لهجر السنة، وتقدح في ركن من أركان العبادة ألا وهو المتابعة للرسول ﷺ، وقد قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٦٣].

٢- أهلها من أشد الناس عداء للمتمسكين بسنة النبي ﷺ. قال أيوب السختياني: إن الذين يتمنون موت أهل السنة يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون.

٣- تستلزم القدح في كمال الدين، وهذا مخالف لصريح القرآن الكريم.

٤- تفسد المجتمع المسلم حيث يرى الحسن قبيحًا والقبيح حسنًا، ولا يميز بين الحق والباطل؛ لأنه صار يتلقى دينه من مصادر غير الكتاب والسنة.

٥- البدعة تدعو إلى غيرها من البدع، وهي سبب للوقوع في الفتنة، وقد قرر العلماء أن البدعة مقرونة بالفرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة.

٦- المبتدع متعرض للّعن، فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال فيمن أحدث في المدينة: «من

(١) أخرجه الترمذي (ح٢١٨٠)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (ح٢١٨٠).

أحدث فيها حدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً»[١].

❑ سادسًا: منهج السلف الصالح في التعامل مع البدع والمبتدعين:

لأهل السنة طريقة واضحة في التعامل مع أهل البدع مبنية على الأصول الشرعية والمقاصد المرعية، ومن معالم طريقتهم:

١- رد البدع، والإنكار على من يفعلها أو يعتقدها، وبيان العلم الصحيح لهم، وهذا كثير من زمان الصحابة - ﷺ - إلى زماننا، فلا يزال العلماء يؤلفون في التحذير من البدع، وذكرها، والرد على المتمسكين بها، وقد رأى عبدالله بن مسعود ﷺ حلقًا في المسجد ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى. فيقول: كبروا مئة فيكبرون مئة. فيقول: هللوا مئة فيهللون مئة. فيقول: سبحوا مئة، فيسبحون مئة. فقال لهم: عدوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة مُحَمَّد، ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده، إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة مُحَمَّد، أو مفتتحو باب ضلالة[٢].

٢- يفرقون بين الحكم على البدعة والحكم على مرتكبها؛ فليس كل من وقع في بدعة وصف بأنه مبتدع.

٣- تتفاوت البدع في مراتبها وتختلف في حكمها، ويختلف الحكم على من وقع في بدعة حسب حاله، فمنهم المجتهد المتحري للصواب، ومنهم من بدعته خفيفة، ومنهم من بدعته خفية دقيقة بحيث لو تفطن لها لتركها، ومنهم المعاند المكابر المتبع لهواه.

والبدعة - مع قبحها وفحشها - تكون صغيرة بالنسبة لما هو أكبر منها بشرط:

- أن لا يداوم عليها، كما هو الحال في صغائر الذنوب.
- أن لا يدعو غيره إلى فعلها.

---

(١) أخرجه البخاري (ح٧٣٠٦)، ومسلم (ح٣٣٢٣) واللفظ له.

(٢) الدارمي في المقدمة: باب في كراهية أخذ الرأي رقم ٢٠٤.

- أن لا يجاهر بها.
- أن لا يستصغرها ويستهين بها؛ فإن استسهال الذنوب يصيرها كبيرة.

٤- يهجرون المبتدع ولا يجالسونه إذا كان في هجره مصلحة شرعية، فإن لم يكن في هجره مصلحة فلا يهجر، وإن كانت المصلحة في تألفه كان تألفه هو المشروع.

٥- يحذرون من الاستماع لمقالاتهم والنظر في كتبهم، وينهون عن مجالستهم لئلا يتأثر ببدعتهم وما يلقونه من الشبهات، وكم من شخص جالس أصحاب الشبهات وقرأ كتبهم ليعرف أقوالهم بزعمه فتأثر بهم وصار من حزبهم.

٦- إذا كان المبتدع متعلمًا أو طالبًا للحق وإزالة ما في قلبه من الشبهة، فمجادلته للعالم القادر على ذلك محمودة لإحقاق الحق وإبطال الباطل.

* * *

ملف الإنجاز:

(١) بالرجوع إلى مصادر التعلم صمم بحثًا عن أكثر البدع انتشارًا في العقيدة، وطرق علاجها.

(٢) صمم ورقة بحثية عن السنة وأثرها على الفرد والمجتمع.

مصادر التعلم:

(١) الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع، جلال الدين السيوطي.

(٢) البدع والنهي عنها، مُحَمَّد بن وضاح.

(٣) حقيقة البدعة وأحكامها، سعيد بن ناصر الغامدي.

(٤) كل بدعة ضلالة، قراءة ناقدة وهادئة لكتاب مفهوم البدعة وأثره على اضطراب الفتوى المعاصرة، علوي بن عبد القادر السقاف.

(٥) أصول الحكم على المبتدعة عند شيخ الإسلام ابن تيمية، أحمد بن عبدالعزيز الحلبي.

(٦) البدعة أسبابها ومضارها، محمود شلتوت.

(٧) معجم البدع، رائد بن صبري بن أبي علفة.

(٨) الإبداع في مضار الابتداع، علي محفوظ.

(٩) السنة والبدعة وأثرهما في الأمة، عبد السلام بن برجس.

التقويم:

(١) عرف السنة، موضحًا فضائل أهل السنة، وخصائصهم.

(٢) عرف البدعة، موضحًا أسبابها، وخطورتها على الفرد والمجتمع.

(٣) قارن بين السنة والبدعة.

المراجع والمصادر

(١) النجدي، مُحَمَّد بن عبد الوهاب (١٤٢٩هـ).كتاب التوحيد. مصر: عباد الرحمن.

(٢) ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله (٢٠٠١م).شرح كتاب التوحيد. مصر: الضياء.

(٣) العثيمين، مُحَمَّد بن صالح (١٤١٥هـ).القول المفيد على كتاب التوحيد. الرياض: دار العاصمة.

(٤) الفوزان، صالح بن فوزان بن عبدالله (٢٠٠١م). الملخص في شرح كتاب التوحيد. الرياض: دار العاصمة.

(٥) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (١٤٢١هـ).القول السديد في شرح كتاب التوحيد. الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

(٦) آل الشيخ، عبد الرحمن بن حسن (١٤٣٢هـ). قرة عين الموحدين. الرياض: دار المغني.

(٧) العثيمين، مُحَمَّد بن صالح (١٤٢١هـ). شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية.

(٨) الحريقي، حمد بن إبراهيم (١٤١٤هـ). التوحيد وأثره في حياة الفرد والمجتمع. الرياض: دار الوطن.

(٩) الغصن، عبد الله بن صالح بن عبد العزيز (١٤١٧هـ). أسماء الله الحسنى. الرياض: دار الوطن.

(١٠) سعيد، مُحَمَّد بن عبد العزيز (١٤٣٨هـ).مقرر السلم ١٠١.الرياض: جامعة الملك فيصل.

(١١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (١٤١٦هـ).الإيمان. بيروت: المكتب الإسلامي.

(١٢) اليحصبي، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى (١٤٠٩هـ). الشفا بتعريف حقوق المصطفى. القاهرة: دار الفكر.

(١٣) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (١٤٠٣هـ).الصارم المسلول على شاتم الرسول. الرياض: الحرس الوطني.

(١٤) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (١٤٢٠هـ). اعتقاد الفرقة الناجية إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة العقيدة الواسطية. الرياض: مكتبة أضواء السلف.

(١٥) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (١٤١٦هـ). مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

(١٦) التميمي، منصور بن راشد (١٤٣٥هـ). العصمة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة. الرياض: مكتبة الرشد.

(١٧) القرموشي، عمر بن صالح (١٤٣٤هـ). أهل البيت عند شيخ الإسلام ابن تيمية. الرياض: مركز التأصيل للدراسات والبحوث.

(١٨) التويجري، حمود بن عبد الله (١٣٩٤هـ). اتحاف الجماعة في أخبار الفتن والملاحم وأشراط الساعة. الرياض: دار الصميعي.

(١٩) الجربوع، عبد الله بن عبد الرحمن (هـ١٤٢٣). أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية.

(٢٠) المنجد، مُحَمَّد صالح (١٤١٣هـ). ظاهرة ضعف الإيمان الأعراض والأسباب. الرياض: مطبعة سفير.

(٢١) البدر، عبد الرزاق (١٤٢٦هـ). زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه. الرياض: كنوز إشبيليا.

(٢٢) السيوطي، جلال الدين (١٤٠٩هـ). الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع. الرياض: مطابع الرشيد.

(٢٣) وضاح، أبو عبد الله مُحَمَّد (١٤١٦هـ). البدع والنهي عنها. القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

(٢٤) الحلبي، أحمد بن عبد العزيز (١٤٢١هـ). أصول الحكم على المبتدعة عند شيخ الإسلام ابن تيمية. الرياض: دار الفضيلة.

(٢٥) أبي علفة، رائد بن صبري (١٤١٧هـ). معجم البدع. الرياض: دار العاصمة.